

شبكة الموسيقى

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الالكتروني: net.sy@vunecri

aru@net.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت

<http://www.awu-dam.com>

الإخراج الفني: سنديا عثمان
وفاء الساطي
تصميم الغلاف : سائد سلوم



طالب همّاش

شَبَّاكُ الموسيقار

سلسلة الشعر (12)
2010

منشورات اتحاد الكتاب
العرب
دمشق

قبل الليل وبعد الليل

في هذي الغيبوبة من ساعاتِ السكرِ الأولى
والشمسُ على بابِ المغربِ
ترتفعُ الأرواحُ كرفِّ حمامٍ فوق الوادي
ويطلُّ القمرُ الحلو ودوداً وحنوناً

يا جازُ تعالَ لنسهرَ قبل الليلِ
وبعدَ الليلِ
وطيبْ نفسك بالإصغاءِ إلى صوتِ الحسونِ
!

يا جازُ تعالَ
ورققْ روحك بالموسيقى
لتكونَ رقيقاً وصديقاً..
وتعالَ ولا تأتي
إلا من جهةِ الليمونِ !

شفَّ جمالُ الزهرةِ في الكأسِ
وشفَّ سوادُ العنمةِ في ماءِ الكأسِ
شفافيةً تسكُرُ ماءَ القلبِ أسي وسكونُ !

فالنسماتُ ثمالى
وتهرهُرُ أزهارُ الصفصافِ
الشتويَّةُ فوق كراسينا
وأريجُ الخمرةِ يملأُ هذا الكونُ .

فاسلكُ دربَ النهرِ
ولا تسلكِ دربَ الوعرِ
لعلَّكَ تسبُحُ في مائيَّةِ ليلِ زرقاءَ
وتغسلُ قلبكُ قبل مجيئِكَ
في ماءِ الضوءِ ..
لعلَّكَ تقطفُ زهرةَ نيلوفرَ بيضاءَ
وسوسنةً لجمالِ الأبيضِ .
في سهرتنا
وكخاطرةِ الحالمِ بالحلمِ
تعالَ مع اللونِ الأزرقِ !

فأنا رتبتُ كراسينا في دائرةٍ حولَ البركةِ

وسقيتُ أبيضَ الحبقِ العطريِّ
بماءِ الوردِ ..
وقوارةً ماءً تترقرقُ

يا جاري الطيبَ كالطيونةِ
والموجعَ كالزيتونةِ
ما أمتعَ أن تهتزَّ طروباً
منشرحَ الصدرِ
لصدحةِ عصفورِ الدارِ
وأن يتقطرَ قلبك كالريحانةِ
حتى تتحرَّرَ روحكُ
وتحلقَ في نشوتها كفقاعةِ صابونٍ !

ما أمتعَ أن تجلسَ جنبَ الرمانةِ ،
وتدوبَ بصوتِ الحسونِ !

فتعالَ وضيِّعِ نفسكَ في ليليةِ هذا الليلِ
فشأنكُ شأنُ العاشقِ
أن تسهرَ سهرتكَ الورديةَ
بين الجرةِ والنهرِ
وتصغي للريحِ الحاملةِ الموسيقى
من قلبِ مكسورٍ لیتامةِ قلبِ مكسورٍ !

وتدور في مجرى الليل مصابيح الدور

.. شأنك شأن الناسك
أن تسهر منتظراً طاووس الصبح على
السور

أن تشهد كيف يصير القمر الطالع
من عش الغيمة بعد الخمرة
طائر نور .

ما حان أو ان الغفوة بعد
فأمهل نفسك حتى تُسقى سقياها ،
والخمرة حتى تجري في بهجة روحك
مجراها
واجلس كي نسمع حبات المشمش
تساقط في الماء العذب
ونسرع في منبلج الفجر الصافي
صفرات العصفور !

سبع إوزات حطت فوق كؤوس السهرة
واهتز هزاز النشوة في الأوتار
فوتت نفسك كالقوس ،
وأطلق سهمك في نقطة عين العقل
المخمور !

فسماءُ الأُمسيّة هادئةٌ
والكونُ مصلّي
ومسيحُ الليل يرشُ على السهرةِ
حفنةَ نورٍ ..

لا تتعجّلْ بالشربِ
ولا تسكّرْ من كأسٍ واحدةٍ
كأساً كأساً يتصفّى في عينيكِ زلالُ الحزنِ
وأسكرُ بين ذراعيكِ الجرّةُ ،
دورها بين يديكِ
المرّة تلو المرّة
لتدورَ نجومُ الليلِ برأسكِ
مثل كراتِ الرمانِ !

بالكأسِ الأولى
ستشفُّ لكِ الرؤيا كسحابةٍ صيفٍ شهباءِ
ببركةِ ماءٍ...

وبثانيةِ الكأسِ
ستبصرُ قلبكِ يسبحُ داخلَ صدركِ
في ماءِ الصعداءِ ..

وبثالثة الكأس
سيصمتُ في عينيك الكونُ
كقديسٍ سكرانٍ !

يا جازُ تعالَ إلى داري
ما أجملَ حُبَّ الجيرانِ !

قلبي كروانٌ أزرقُ
مملوءٌ بغناءٍ شفافِ
الرجعِ
وقلبك عصفورُ
يتعلَّمُ بالشربِ جمالَ الطيرانِ !

فأنا أجلسُ منتظراً أن تأتي
كي نسبحَ في نهريةٍ موسيقى
ونعلّقَ صوتَ الشحورِ الراهبِ
والكروانِ القديسِ على غصنِ الداليةِ
السهرانِ .

وأنا كلَّ مساءٍ
أسهرُ كالقنديلِ الخائفِ قدامَ الأيقونةِ
منتظراً أن يأتي الألافُ
فلا يأتونَ سوى أطيافٍ !

يا جاري المضياف !

إسهز حتى الفجر
لتسترخي الريحُ على راحتك المفتوحة
ويرين الصمتُ الشفاف !

همساتُ الموسيقى تسكرُ روحك في
الأرياف ..

ما أن أوانُ الغفوة بعدُ
وصوتك في الليل جميلٌ يا جارُ
فغنّ بأشجانك
يا ذا الصوت الطيب حتى أغفو
فأنا في الليل الوحشي أخاف !

لا أغفو إلا وأنا أسمعُ
أصوات الأضياف .

>

كالدَمعة في ماء الكأس

كَمْ أَنْتَ وَحِيدٌ
وتفيضُ دموعُكَ في هجعات الليلِ الموحشِ
فوقِ وجاقِ النارِ !
والمطراتُ الليليةُ
تغرورقُ في شباكك عنقوداً عنقوداً !

كَمْ أَنْتَ وَحِيدُ الدارِ
وريحُكَ جاريةٌ مجراها
في خشبِ الوحشةِ كالمنشارِ !
صوتُكَ صوتُ الشاعرِ
محترقٌ بغصيصِ اللوعةِ والحسراتِ
السودِ ..
يتساقطُ من كأسِ الصمتِ السكرانِ
كما الجرحُ على الجمّازِ !

فلأبي نديم رقرقت الخمرة دمعاً يا خمّاز؟
ولأبي جريحٍ رَحمتَ الأغنيّةِ باكيةً يا عودُ؟

فأنا لا أملكُ إلاّ قلبَ البلبِلِ في صدري
مجروحاً ، ورقيقُ !

والمرأةُ منّي نافورةُ ماءٍ تبكي في مطرِ
الدارِ !

ليسَ بمقدورِ الخنجرِ أن يجرحَ صوتي
وتجرّحهُ الريحُ على كلّ طريقٍ !

رحلَ العشّاقُ
وخلّوا أزهارَ الخوخِ تهرهُرُ فوق كراسيهم
وتباعدَ في الليلِ نداءُ الجارِ !

وعلى الصفاقةِ يرفعُ كائنُ حزنٍ يتألّمُ
أنشودةَ حاجته لرفيقٍ !
لم يأتِ صديقٌ كي نسهرَ
تحت القمرِ المتكوّرِ كالنهدِ ،
فتشرقُ شمسُ السهرةِ من كأسِ صديقٍ !
مذرحلوا طالَ هطولُ الدمعةِ
واتسعتْ كالكهفِ سكينَةُ هذي الدارِ !

فالعَبُّ برخيمِ الصوتِ على سَلْمِ أنغامِ
مشبعةٍ بالعشْقِ
ليسكتَ صوتُ الجدولِ في الإبريقِ !
واصعدْ بالنغماتِ إلى منبعها العذبِ
لأجلَسَ في صحنِ الليلِ الخالي ،
وأسوخَ بأغنيةٍ عاليةٍ التحليقِ !
لا تتركني كاللقلقِ ظمآنَ على عامودِ الأجرِ
العاليِ
أتأملُ كالمهزومِ خلوَّ الدنيا من أيِّ صدبقِ !

نغمةُ عودكَ عند شيوخِ المغربِ
نغمةُ نَمَ .. نَمَ .. نَمَ !

تهتَرُ على مهدِ عزيزٍ يتألمُ !
... والموسيقى صوتُ الشاعرِ مرفوعاً
للقمرِ الصديقِ !

نغمةُ عودكَ رجْعُ فراخِ الريحِ
إذا جاشتْ في السعفِ
وهدهدُ البحرِ الهادئِ من شبّاكِ ندمِ !
... والموسيقى حزنٌ ذهبيٌّ يبحرُ في الأفقِ
الفردوسيِّ كطائرِ تمّ .
نغمةُ عودكَ سوداءُ ، ترنُّ رنينَ الدمِ !
وتهزُّ سويداءَ القلبِ من الجمّازِ !

أَوْتَعْرِفُ يَا خَمَّارُ ؟

كَيْفَ تَصِيرُ الزَّهْرَةَ فَوْقَ السَّاقِ الْأَبْيَضِ
جَمْرَةَ نَارٍ ؟
أَوْتَعْلَمُ كَيْفَ يَصِيرُ الرِّقْصُ عَلَى إِيقَاعِ
الْمَطَرِ الْمَدْرَارِ كَعَرَسِ الدَّمِّ ؟

أَوْتَعْرِفُ مَا لِي يَا خَمَّارُ ؟
أَشْرَبُ كَأْسَكَ مَمْزُوجاً بِالدمعِ
وَلَكِنْ لَا يَبْلُغُنِي صَوْتُ الْبَلْبَلِ فِي الصَّبْحِ
وَلَا أَبْلُغُ بِالْتَرْنِيمَةِ إِغْفَاءَةَ نَشْوَانِ !

فَتَرْقُرُقُ بِالصَّوْتِ الْبِدْوِيِّ الْمَوْجِعِ بِالْأَشْجَانِ
وَعَنَّ غَنَائِكَ :
ظَمَّانَ إِلَى مَائِكَ يَا دُنْيَا ظَمَّانُ !
غَنَّ حَاجِزِيًّا فِي هَدَاةِ اللَّيْلِ
وَلَا تَتْرَكْنِي مَغْرُوساً فِي صَدْعِ الرِّيحِ
الْمَهْجُورَةِ كَالْمَسْمَارِ !
أَغْرَقْنِي بِجِرَاحِكَ فِي مَطْرِيَّةِ نَسْكَ
وَتَمَاجُجِ الصَّوْتِ الضَّائِعِ فِي عَتَمَاتِ الدَّارِ
!

فمسيلُ غنائك في سكراتِ اليانسِ (أسيانُ)
أسيانُ !

أسمعني صمتَ نفوسِ سكرى
ذابتُ في حزنِ سكرانِ !
وأذني كالدمعةِ في ماءِ الليلِ
المتساقطِ في قدحِ الظمانِ !
فأنا أتقطرُ في ساعاتِ الوحشةِ
نقطةَ حبرٍ في بئرِ الليلِ الموهودِ !
وأنا أسكرُ بالموسيقى والشمسِ
ورخرخةِ الأمطارِ.

فلأبي جريحِ رَحمتِ المرثيةِ باكيةً يا عودُ ؟
ولأبي نديمِ رقرقتِ الخمرةِ دمعاً يا خمّارُ ؟

فالوحشةُ صمتُ أسودُ
ينحلُّ على محبرةِ الشاعرِ كلَّ مساءً !
والمغربُ أنفاسُ كمنجاتٍ ساكتةٍ سوداءُ !
يا طيراً طرتَ طويلاً في الأرضِ
ولم تجدِ الشمسَ لتملأَ بالضوءِ
ظماءَ جراكُ !
كم أنتَ وحيدٌ وجريحٌ تحت خريفِ الخوخِ
وصفرةِ أوراقِ المشمشِ في داركُ !

تُغْرِفُكَ المَطْرَاتُ بِحَالَةٍ حَبِّ يَأْتِسَةٍ
وَالغَيْمَاتُ تَكْفُنُ رُوحَكَ تَحْتَ أَمَاسِي
الصَّيْفِ الزَّرْقَاءِ !
كَمْ أَنْتَ تَكْبُ عَلَى نَفْسِكَ كَالنَّاسِكِ فِي
الصَّلَوَاتِ
وَسِرْبَةٌ رِيحٌ تَحْمِلُ رُوحَكَ كَالعَشْرِ بَعِيداً عَنِ
أَشْجَارِكَ !

كَمْ أَنْتَ ..
وَأَيْنَاكَ أَنْتَ الْآنَ ؟
لَقَدْ طَارَتْ كُلُّ حَمَائِمِكَ الْبَرِيَّةِ
فِي صَبَوَاتِ الصَّبْحِ
تَطَوَّفُ بِيضَاءً عَلَى بِيضَاءٍ .

وَقَعَدْتَ تَحَدَّقُ فِي الْقَمَرِ الْغَارِبِ
مَجْرُوحاً يَتَزَايِلُ فَوْقَ نَعَاسِ النَّاسِ !
يَا خَمَاراً يَغْرُقُ كَالدَّمْعَةِ فِي مَاءِ الْكَاسِ !
اللَّيْلَةُ خَضْرَاءُ
وَصَمْتُ عَذَابِكَ صَافٍ تَحْتَ سَمَاءِ النُّورِ
فَأَضَىءُ شَمْعَةً حَزْنِكَ فِي كَوْزِ اللَّيْلِ
المَكْسُورِ !
وَتَأْمَلُ مَعْنَى النُّورِ !
لَا تَتَكَسَّرُ الْآنَ

فقد شَفَّ الوجد وأبحرَ عقلي كشرعِ فوق
بحيراتِ
رائقةِ الإقمارِ !
ولقد صارَ القدحُ الأزرقُ في كفيَّ
على شكلِ كَنازٍ .
فابتهَجَ القلبُ وراحَ يَحَلِّقُ كالغيمةِ نحو
جمالِ الإقمارِ !
وبهذي الساعةِ تصبُحُ أرواحُ السَمَّارِ)
زرزيراً)
تتطايرُ تحت خيالِ المشرقِ زرزوراً ..
زرزورُ .
وبهذي الساعةِ يصبحُ حزنُ المرأةِ قنديلاً ،
وأنوثنها داليةً تتدلى بالأعنانِ .

يا خَمَّارُ كسرنا في العشقِ الأكوابُ !
ما بَكَرَ بالحزنِ السيَّابُ
ولا غَرَّبَ بالشوقِ النَوَّابُ !

ما عادتِ فائدةٌ تُرجى
أن تخسرَ أصحاباً أو تملكَ أحباباً !

إن شتاءاتِ راجعةِ الغيمِ
ستطرقُ أبوابَ جراحكِ باباً باباً !
ورياحُ خريفِ العمرِ الهوجاءُ

تهبُّ على عمرك مشهرة الأنياب !
فاليوم سيشتبك الغيم مع الغيم ،
وتمتدُّ أمامك دربٌ مقفرةٌ ، وصحارى سودٌ
!
واليوم سيصعدُ صوتُ الشاعر من أعماق
الآبار كزوبعةٍ من نارٍ !

فلأبي جريحٍ رَحمتَ المرثيةِ باكيةً يا عودُ ؟
ولأبي نديمٍ رقرقت الخمرة دمعاً يا خمّارُ ؟

هددُ يا عودُ رقيقاً قلبي المتعب
واصفرُ صفراتٍ ناعمةٍ يا ناي !
ما من (أحدٍ) وسطَ سكونِ الليلِ يسوخُ
سواي !
وأموثُ على صدركِ يا ليلَ العزلةِ
أينَ الأصحاب ،
وأينَ امرأةٍ تمسحُ بالماءِ الصبحيِّ عيوني
وتجفّفُ دمعاتِ أساي ؟
حزني حزنٌ غريبٍ في الأرض
أمرٌ على ضوءِ فوانيسِ الحاراتِ وحيداً
وحزيناً قربك يا دار !
وأقولُ مساءً صمتاً يا أمَّ الأعشاشِ
أما جاءتك مع الريحِ الأخبارُ ؟

وأصيحُ بصوتِ الضارعِ في ملكوتك يا
ربّي !

ما دارُ هذي الغربيةُ في الأرض
ولا الأرجاءُ المتروكةُ للهجرانِ ديارُ !
يا خمّارُ !
كم نيمتَ جراحاً في أعشاشك
يابنَ حماماتِ الحزنِ وكم ريحُ !

كم حبةُ نورٍ من قلبك أطعمتَ
لطارقِ ليلٍ جوعانٍ ، فقيرَ الروحِ ، مسيخُ
!
وركنتَ غناءك كالألفِ المكسورِ بزاويةِ
البيتِ !
كم أغنية ! .. وبكيت !

يا عودَ الناسكِ نم يا عودُ !
ما تعبتُ أوتاركَ من شربِ مياهِ القلبِ
وليس لحزنك في هذا الكونِ حدودُ !
ما صوتكُ صوتُ العاشقِ في اليأسِ
ولا أشجانكُ أشجانُ الشوقِ
كأنّ عزاءك للمستوحشِ
ترجيغُ كمنجاتِ سودُ !
يا عودَ الناسكِ نم يا عودُ !

طفولة الرمان

متكوّر كالشمس بين أصابع الغدران
ينضج مثل جمر الأرجوان
على غصون الفجر
أو جرس الصبيحة تحت شبّاك العروس .

كتلامس الأجراس في الأعراس يرقص
كلّما رقّ النسيم على الغصون ،
وكلّما لمست فتاة صدرها
سالت عصائره وذابت في الكؤوس .
وهناك حيث يسرّح الينبوع رقرقاً
كؤوس الماء
والكروان يسبح في الصباحات الطرية
ببزع الرمان من جهة الشروق
معلقاً مثل القلوب إلى جراح الجنان

و هناك حين يزقزق العصفورُ
فوق سلاالمِ النغماتِ (سكراناً) بنور
الشمسِ
والفتياتُ تجمعُ من زلالِ اللوزِ ماءَ الشهوةِ
الذهبيِّ
يقطرُ دمعهُ الوردِيَّ في شهواتهنَّ
مضرجاً في الصدرِ قبرةً
وفي الخدينِ كأسِي إحمرارُ .

متعلّقاً بجداولِ الأغصانِ
ينظرُ للنساءِ الصاعداتِ إلى السفوحِ
لكي يصرنَ (غمائماً)
ويطرنَ فوقَ مفاوزِ الوديانِ .

لكأنهُ ثمرُ الأنوثةِ
وهي ترضعُ من شروقِ الشمسِ
ماءَ جمالها الظمانُ .

وكأنهُ نهْدُ حليبيِّ تحمّمهُ الورودُ
بنسغها المعصورِ من عنبِ الغيومِ
يفورُ كالأزهارِ تحتَ (مراضعِ) بيضاءِ
حينَ تمرُّ سحابةً

ويهزُّ فوقَ النبعِ مثلَ شقائقِ النعمانِ .

شبقٌ كمنظرةِ عاشقٍ زرقاءَ
يشهدُ في العصارى العاطراتِ
مرورَ سربٍ من صبايا بالجرارِ
فيستبدُّ به الفضولُ لكي يشاهدَ
كيفَ تغتسلُ الأنوثةُ بالغديرِ
وكيفَ تلعبُ في الصدورِ توائمُ الرمانِ

منذ الطفولةِ كنتُ ألمحهُ حزيناً
تحتَ شرفتها المطلَّةِ بالحنينِ على
الغروبِ..
وقلبه الباكي
يرخمُ في الخريفِ مدائحَ الخسرانِ !

مستغرقاً بخياله الشفافِ في ماءِ الغديرِ
العذبِ
يرعى رغبةَ العشاقِ بالموتِ المؤنثِ
أو يربِّي في مغمضه زغاليلَ البلايلِ
والطيورِ
كما يربِّي الموتُ في أقصى الجبالِ
أيائلَ الغزلانِ .

ويشمُّ دونَ درايةٍ منَّا غطيظَ العطرِ في
الريحانِ ،
فوحَ روائحِ التفّاحِ
مغتبظاً بزيرانِ الزهورِ ورقراتِ حليبيها
ويميلُ في طربٍ على رجعِ الغناءِ
ككفتي ميزانٍ .

أكونُ تجسيداُ بدائياً لعشاقِ مضوا
لا الريحُ تدركُ أنهُ ترجيعُ حبِّ ضاعٍ
أو تدري به أنثى
يظلُّ يشدها بشجونهِ الرمانُ

لحفيهِ المجروحِ موسيقى انسكابِ الثلجِ في
الغدرانِ ،
سقسقةُ مصفاةِ الأغاني للملامسةِ الطريّةِ
بين أنثى الريحِ والطاووسِ في غيبوبةِ
الهديانِ .

ما جاءَ صيفُ إلا واشتهتهُ العينُ
وهو يضمُّ كالعنقودِ حباتِ الدموعِ
ويستديرُ على حلاوةِ شكلهِ الصافي
استدارةً ناهدٍ ظمآنُ !

هو دائماً غافٍ على مرآى هلالِ شاعريِّ

في ليالي الصيف
لكن في الشتاء يصيبه ضجرٌ حدائي
فيسقط قلبه حزناً
فإن عاد الخريف يصيخُ مكتئباً
لرقرقة النواير التي تغفو على رجع
الكمان .

فكأنما الرمان شهوتنا إلى ركضٍ قديم
في زوارب الطفولة
حين كانت تملأ الدينا كرات الأرجوان .

هو ليس صلباً لتكسره الفصول
وليس تلزمه الحقول لكي يطول
ولا براري كي يتيه ..
فيسكن الأحواض كي يبقى قريباً
من حليب النسوة السكران .



كالعصفور على بركة ماء

يا قرصَ العسلِ الضاحكِ تحت صبيحةٍ
أمطارُ !
يا قزحاً يتلألأ بالأخضر والأزرق
والورديِّ واللوانِ النوازُ !

أبهجَ عينَ الرائي بالرويا
وجمالِ الأنوازُ !

ليحلّقَ تحت رخيخِ المطرِ المشمسِ تحليقةً
أطيّارُ .

وتطايّرُ مثل خيالِ العاشقِ في طقسِ سنونو
!

فالدنيا في الصبحِ عروسُ
بأصابعها الزيتونيّة تمسكُ خيطانَ النورِ

وتتسجُ قمصانَ الصيفيَّةِ ..
والصبيانُ يغنونَ على السطحِ أغانيَ قطفِ
التوتِ
ويستسقونَ من الغيماتِ حليبَ الصبحيَّةِ .
ما أسعدَ من يشهدُ في هذي الإشراقِ
أسرابَ (عسافيرِ) تنتزلُ من أغصانِ
الجناتِ
ويصغي بجمالِ النساكِ لموسيقى الأجراسِ
النهريَّةِ !

فسلالُ الأعنابِ قطوفُ في القلبِ ،
وزيزانُ اللوزِ تغني ،
وينابيعُ الماءِ انبثقت من صخرةِ صبحِ
صمَّاءِ
وراحت تترقرقُ في رقصتها الينبوعيَّةِ !
وحبيباتُ التفاحِ المحمرَّةُ تحت الشمسِ .
تسيلُ عصارَتُها الحلوةُ في الأفواهِ اللوزيَّةِ

لكأنَّ الروحَ رضيعَةٌ دمعُ
ضمَّتْها الغيمةُ للصدرِ وراحت ترضعها
قطراتِ حليبِ دافئةً
من نهدينِ ربيعيينِ فذابت في الإغفاءِ !
وأنا الشاردُ بين ينابيعِ الغبطةِ أمشي (
نشواناً)

ممتلاً بسعادةٍ رُوحِي
أبصرُ نفسي تشرقُ كالصورةِ من قاعِ النبعِ
وحزني كحصاةٍ تُلجِيه .

وأنا عازفُ غيتارٍ صيفيُ الحزنِ
يدايَ شرعانِ يعومانِ على بركةِ أنغامِ
وتسيلُ كأوتارٍ من بين أصابعي المجروحةِ
دمعاتي الحمراء !

وأنا (ربيانُ) كالعصفورِ على بركةِ ماء .

صدري شفّافٌ كالبلورِ
فإن حدقتَ ستبصرُ قلبي
يسبحُ كالدمعةِ في الكأسِ البيضاء !
.. عشقي كلُّ جمالِ الدنيا
مسكوباً في لحظةِ إشراقِ صوفيّه

ومضَ البرقُ فأدركتُ بأني
قدّيسُ مساءاتِ الأرضِ
المتأملُ بين مآذنها العاليةِ الأبراجِ
معانيها الأزلية .

يا قوسَ القزح الضاحك بين المشرق
والمغربِ
كالأجنحة الكروانيَّة !
ألقِ على قلبي السكرانَ وشاخَ الدمعَ
لأستغرقَ كالمغبوطِ بغيوبه رؤياك ،
وأغفو إغفاءَ الموجةِ
في تنويحةِ ريحِ بحريَّة !

نفسِي الدوديَّةُ تغفو الآنَ
وتستيقظُ نفسي العصفوريَّة ..

فابسطُ جنحيكَ ، وحلِّقْ كالطاووسِ على
الأرضِ المرويَّةِ
فالأرواحُ المختارةُ تستمتعُ بالموسيقى ،
ورخيمَ الصوتِ الصافي
وأحاسيسُ العشقِ سماويَّة !
ما أروعُ هذي الأرضَ المشغولةَ بالنورِ
وهذي الآكامَ الصفصافيَّة !

صوتُ الجدولِ يُسمعُ بالروحِ رخيماً ، أخاذاً
بين الساقِي والظمَانِ ...
والغيماثُ تدورُ على مشهدها الأبيضِ
كالساعاتِ الفضيَّة .

يا قوسَ القزحِ المشلوحِ كزئارِ العذراءِ على
شجرِ الرمانِ !

يا بهجةَ عينِ العاشقِ أسكرُ باصرتي
العمياءَ
بإشراقِ نورِ فردوسِيَّةِ !
لتسوخِ برؤياها في رضوانِ اللهِ
فتعمى بزهورِ الألوانِ !

فكؤوسي الخزفيَّةُ فارغةٌ
وأمامي إبريقي بدموعِ الحسرةِ ملآنُ !

فأنا ناسكُ هذا الغيمِ المتطايرِ
مثلَ غدائرِ مريمَ فوقِ فراديسِ يسوعيَّةِ .
ذابتُ نفسي في نسماتِ البحرِ فإني (نشوانُ
(
أزرعُ دربَ البستانِ مشاويرَ
وكالشاعرِ أشهدُ طلعةَ شمسٍ من صحنِ
الفجرِ السكرانِ .

فسماءُ الناسكِ خضراءُ مقدَّسةٌ
والأسرابُ تحجُّ ميممةً شطرَ مآذنها
الأندلسيَّةِ !

يا للبلبلِ والمطراتِ الصيفيّةِ فوق السطحِ
وبستانِ الخوخِ العابقِ
إنّ القلبَ ليعشّقُ !
يا للطائرِ يرحلُ في ساقيةٍ من أطيافِ القرحِ
الخصراءِ
جميلاً كجناحِ الزورقِ !

فالصبحُ جمالٌ ينبتُ من ماءِ الخمرةِ
زهرةً زنبقُ ..
والصبحُ صبايا يرقصنَ على إيقاعِ الفرحِ
المطلقِ ..

والصبحُ حماماتٌ طارت راقصةً
نحو أصيلِ الشفقِ الأزرقِ ..

والصبحُ (نوافيرُ) تتغنّى في شلالِ
الشهواتِ
وأنغامُ تتموسقُ

أيتها النافورةُ يا كلماتِ ذابت في وسوسةِ
الماءِ
وصارت رقرقةً لحنِيّه !
صوتكِ صوتُ الحسونِ السارحِ في
الصبحِيّه !

صوتك زقزقة العصفورة
وهي تسامرُ أنغامَ النهر
وقيثاراتُ جداولَ ذابت في سقسقةٍ موسيقيّه

..
تتشهّي أرواحَ الطيبة أن تصبحَ أصواتاً
سارحةً في مجرى الماء ..
يا نافورةٍ وردٍ تتوسقُ في رقصتها المائيّة
بين الشهوةِ والريحانِ !
يتشهى في العشقِ فَمَانَ ..
قمرأً نهدياً ممتلاً بعصائرَ بيضاء
يسافرُ مثل سحابةٍ صيفٍ
في أجواءٍ حليبيّه .

فتطلّعُ بعيونِ القديسين إلى الأعلى
واغسلُ روحك من وحشتها
بخضابِ الثلجِ الذائبِ في الأطيافِ !
ما أجملَ أن تعبرَ ساقيةَ السكرِ بساقيك
العاريتين
وترحلَ كالهدهدِ خلف الغيتاراتِ النهريّه !

فتحسُّ بأنك طافٍ كالريشةِ
فوق الأرضِ
ترفرفُ قبرتَانِ على كتفيك
وفي عينيكَ الصافيتين

يصلّي سهلُ صباحاتٍ عسليةٍ ..

والنهرُ البلّوري يسلسلُ في أسماعك
رقرقةَ الخمر بحنجرة الإبريق
وأصداء الأصداف .

يا قديسَ سماءِ الصيف السارحِ في ملكوتِ
الكون الشفافِ !

إنّي أسمعُ صوتاً فردوسياً
وأرى أطيافاً مزهرةً
تتفتقُ عن أطيافٍ .
لكأنَّ الكونَ المشرقَ أقمرَ بالشمسِ
الورديةِ
وانحلَّ غناءُ العاشقِ في معزوفةٍ صفصافٍ .

بيّاعُ مواويلِ

الشاعرُ بيّاعُ (مواويلِ)
يعبرُ في طرقاتِ الحزنِ وحيداً
وينادي في الحاراتِ
: يا عشاقَ الحيِّ العزّلِ
من بيّاعُ أغاني حبِّ يائسةً
وقصائدَ شعرٍ جدّ حزيناتٍ؟!
للأغنيّةِ تكفي ضحكةُ طفلٍ مكسورِ
أو حزنُ يتيمٍ
والموَالُ بكأسينِ من الدمعِ
ووصفُ القبلةِ
حبةُ خوخٍ من خدِّ فتاةٍ !

من بيّاعُ دموعي في الليلِ
ويجعلها تترقرقُ بين مآقي الأيقوناتِ ؟

من بيتاغُ دمي النازفَ من سبعِ بحيراتٍ
جرحى
عند مغيبِ الشمسِ
ويسقيه كزيتِ لفوانيسِ الشرفاتِ؟!!

فأنا ناديتُ طويلاً في الأرضِ
وشيّختُ كحرفِ الألفِ الواقفِ في الريحِ
إلى أن صرتُ عجوزاً
أجمعُ أزهارَ البابونجِ من أطرافِ الطرقاتِ
!

يا ساقيةً تغتسلُ الشمسُ على زنديها
كالصابونةِ
هل لي أن أغفو كرضيعِ فوق العشبِ
وأغسلُ قمصاني المبتلّةَ بالدمعاتِ؟!!

هل في فتياتِ الحيِّ عروسُ
تهديني محرمةً بيضاءَ قلبي
لأشتمَّ أريجَ الحبِّ
يفوخُ حليبياً منها،
وأذوقَ العسلَ السائلَ كالقطراتِ !

يا شبّاكِ امرأةٍ مفتوحِ

خلف حقولِ القمحِ
كدفترِ أشعارِ خضراءِ على إنشادِ حمامه !

هل لي عند عصارى الحزن على الشبّاكِ
كناريٌّ سكرانٌ يغني أحلامه ؟

هل لي بين أزقةِ هذا الليلِ البغداديِّ غناء
امرأةٍ ممزوجٍ باللوعةِ
يغري الضائعَ بالنومِ على حصرانِ العتباتِ
!؟

فأنا ظمآنٌ وتعبانٌ من التطوافِ
مشيتُ طويلاً في الأرضِ
وما بعثُ سوى حزني الشاردِ في الطرقاتِ
!

يترققُ صوتي الضائعُ كالأبواقِ
وراء زقاقِ الليلِ
ولا من شاري .

أتشهى مثل الناسِ الرحّلِ داراً تؤويني من
مطرِ الليلِ
ولكني لا أملكُ داراً في الأرضِ

ولا أعرفُ أينَ أعمرُ داري °

أتشهى راحةَ طفلٍ لأنام على خديها
وغدائرَ بنتِ سوداءٍ أبللها بالخمير
وأرخبها كالشلالِ على صدري العاري !

ما نادتني امرأةٌ
يا بياغِ حزاني الناسِ الدائرَ في الحاراتِ !
بعني أغنيةً
تطفئُ نارَ العشقِ بصدري
ما أكثرَ في العشقِ الميماتُ !

ما من أحدٍ بيتاغُ بكسرةِ خبزٍ بيتَ عتابا
ويبادلني أغنيةً بفتاةً .

الشاعرُ بياغُ مواويلِ
يرحلُ بين ضياغِ الليلِ
وحيداً كالحادي
وينادي
يا ليلُ تغمدُ حزني
واخفي ظلِّي يا ظلماتُ !

ويحملُ كالمغشيِّ على عينيه

بتحليقة طير الوحشة
وهو يغلُّ بعيداً بين شبابيك الغيمات .



شتوية دار

رحل الصيف ،
وحل خريف الوحشة كالموال المجروح !

وبكت بحفيف مجروح شجرات الدار !

فعلی صوت الغيتارة غني يا روح !

وعلى صوت الريح الضائع
نوح يامزمار !

أسمع رجع القصب اليابس في الأكام
يعن عين النيات ..
ونواعير النهر تحوك أغاني المطر
المهجور !
وأرى ضوء القمر الطالع من طقس
مخمور

يتأرجحُ كالمصباحِ الساكتِ في صحنِ الليلِ
على جثمانِ غريبٍ ماتَ !

... أسمعُ صمتَ البحرِ الغارقِ
في حزنٍ مكسورٍ

يسبحُ في سَكَراتِ المغربِ كالقديسِ ،
ويمتدُّ بعيداً عن حزنِ الناسِ !

يسبحُ كالزورقِ فوق مساحاتِ الصمتِ
الزرقاءِ
إلى دنيا صافيةٍ كالقدّاسِ .

وكمنجاتُ الغيمِ تهاجرُ فوق الأريافِ شمالاً
باكيةً الجوقاتُ !

أسمعُ في مطراتِ الوحشةِ صوتاً ظمّانَ
يثقّبُ قلبي بالدمعِ
ويملاً طاسي بدموعِ الصداقاتِ !

وأحسُّ بأصواتِ مؤلّمةٍ تتصاعدُ من أعماقِ
الأرضِ
لتسقي قدحي الظمّانةَ من ماءِ الأمواتِ !

فأراني أبكي
كالمطر الدامع فوق شفاه البلور !..
ألتقطُ الدمعاتِ من الماءِ كمنقارِ قطاة

فيذوبُ بسمعي
وقعُ نقاطِ الماءِ السكرى
بعذوبةِ صوتِ البلبلِ في مغربِ نورٍ !
فأنا قطرةٌ دمعٍ تلعبُ عند مسيلِ دموعِ الماءِ
!

وأنا (سكرانٌ) كالعصفورِ بكلِّ كؤوسِ
الماءِ !
وأنا قطرةٌ خمرٍ تتعنتُّ في أعماقِ جرارٍ
وجرارٍ !

سكنتُ ساعاتُ الموجِ على تغريبةِ قلبي
الإيقاعيِّ
وسالت في المرثيةِ أصداءَ الأجراسِ !

فارفعُ للأفقِ المبيضِ شراعك
مثل هلالِ الليلِ،
وأبحرْ بجمالِ الأشرطةِ البيضاءِ
إلى دنياك المغزولةِ بالغيّاتِ
على أنوالِ الموسيقى ، وأصابعِ الأنهارِ !

فأنا في لحظاتِ المطرِ الصامتِ
أجلسُ في البريةِ كالراعي
وأحدقُ كالمخلوقِ اليائسِ في موقدِ نارِ

فأرى ألمَ الشاعرِ مرفوعاً تحتِ سماءِ
الوحشةِ
كالقمرِ المذبوحِ ..
والقلبَ النادمِ مصلوباً كالبصمةِ فوقِ
صليبِ الأعمارِ .

فعلى رجحِ الريحِ المجروحةِ نامي يا دارُ !
وابكي بأنينٍ مبحوحٍ يا روحُ !

... الليلُ ضفائرُ مَيْتةٌ ، ونحيبُ شحاريزُ !
يترعرعُ في الريحِ جراحاً وخساره .
والبحرُ الظمآنُ على شبّاكي النائِ
قدحُ مرٌّ وكبيرُ !
وحزاني العشقُ يفيضونَ أسى ومراره!
ذرفوا آخرَ دموعاتِ العينِ
وذابوا في حزنٍ سكرانٍ !
يا عصفورَ الريحِ على شجرِ الحورِ البردانِ
!
رحلَ الصيفُ وهزّتْ أوراقُ الشجرِ
اليائسِ

وابتلت بالدمع العيدان !

ما عدنا نسمع في الشتويّة
غير خريير دموعٍ وعنين نواعير !
ما عدنا نسمع غير سقوطِ الورقِ اليابس
في أيلولَ الباكي ،
وتصيحُ حزانى في الغسقِ المجروح
صغارُ الكروانُ

وشممتُ زهورَ البردِ فما رويت نفسي
أفما تسكرُ روعي زهرةُ ريحانٍ ؟

يا عصفوراً بيكي منفرداً في البستان !
إملاً صدركَ بالحزنِ
وزقزقُ فوق غصونِ المشمشِ زقزقةَ
الأسيان !
زقزقُ حتى تعقدَ أزهارُ اللوزِ شفاهاً
ويلوحُ جمالُ الرمان !

فهديلُ الريحِ على الأشجارِ رماديّ
والأمطارُ دموعُ يائسةٍ تسقطُ في القلبِ
المجروح !
والحزنُ الهائلُ فوق قبورِ الليلِ

يدقُّ كأجراسٍ خائفَةٍ جدرانَ الدارِ !

فعلَى صدرِ الليلِ الهاجعِ نامي ياروخُ !
وابكي بأنينٍ مكسورٍ يا دارُ !



بين الماء وزهر الطين

ورضعتُ حليبك يا مطرَ العشاق
صغيراً أتباكي بينَ الماءِ وزهرِ الطينِ !

أترعرعُ حزناً بينَ الريحِ وشبَّاكِ الأمطارِ
فتغرقني بجراحك بينَ قواريرِ العبراتِ
وأشجانِ المخمورينِ !

وسمعتُ ترقرقَ روحك في ريحِ الأشجارِ
كترخيمِ (مزاميرِ) جرحي
فأذابتني البكوةُ
كالريحانةِ من شبَّاكِ حنينِ !

يا أوَّلَ زهرِ السكرِ على عينيَّ
سقيتكِ كأسِي في الصيفِ

لماذا تسقيني حزنَ النرجسِ
في شتويةِ هجرٍ
وغراسي في البستانِ صغيراتٍ
لم تمسحْ بالدمعِ عليها أيدي الحطّابينُ ؟

فأنا مَرَبِي شجرة تينٍ في صحنِ الدارِ
ترحلني الأرضُ بعيداً في الأرضِ
وأبقى مشدوداً بحبالِ الريحِ
إلى أحضانِ جذوعِ التينِ .

وغفوتُ مع الحزنِ الباكرِ للمغربِ
والليلِ
وأولِ ساعاتِ الأحرانِ
وكانَ الليلُ رحيماً بدموعي ،
وغروبُ الشمسِ كنيسةً صمتِ
ملأى بعذاباتِ القديسينِ !

وعصافيرُ النهرِ تربّي حَبَّ البردِ
على عينيّ
وتتركني أتساقطُ من شجرِ الأعشاشِ
(زغاليلاً) وحساسينُ ..

كم هي مؤلمةُ ساعاتُ المطرِ الصامتِ

والبحرُ كم البحرُ دفينُ !

* * *

يا شتواتِ الحزنِ المذروفةَ فوقَ أماسي
الغيَابِ !

يا شتواتِ الأشجانِ على صغري
والعبراتِ الليليَّةِ !
لم يسكرنا ماءُ اللوز
رضعناه صغاراً في العشق
فذوّبنا في قدحِ الشربِ وذابُ !

كذبَ العشقُ علينا في الصيفِ
ورحنا في الشتويَّةِ كالأغرابِ !

نتطلَّعُ في غيبتهم
وغروبُ الشمسِ على الشباكِ
يذهبُ أطيافَ الأحبابِ !

* * *

يا مطرَ الشوقِ
وحيداً كالهددِ في البردِ

أنامُ على أعشاشِ الريحِ
وقلبي المتنيِّمُ يحضنُ مثلَ زغاليلِ الطيرِ
البردانةِ حزنُهُ !
وتضمُّ قِطاةَ قلبي الموجعِ بينَ دفيئةِ جنحينِ
!

يبسُّ القلبُ
وما بلّلتِ ترابَ الروحِ بشتوةِ حزنِ
أو باكيتَ برقراقِ العبراتِ
مآقي العينِ !

يا ليتَ لروحِ العاشقِ عشُّ
يتعاشقُ فيه شروقُ الشمسِ بمغربها..
وعيونِي غرقى بمدامعها
تتأملُ أرتالَ الناسِ
يمرونَ على الأرضِ معزّينُ !

ما زلتُ أسافرُ حزناً في أسحارِ الدنيا
والغيمِ ضماداتٍ حولِ جراحي
ودمائي تتلألأُ في فانوسِ الدربِ
بضوءِ سكرانِ حزينِ !

نيمتُ زرازيرَ البردِ على غصني

وبكيتُ على غصنك يا طيرُ
فلا ضمّنتني الأعشاشُ
ولا نبتَ البرعمُ من جسدي العنّينُ !

ربّنتي شجرةُ تينٍ بين جوانحِ هذي الدارِ
وكنْتُ أدوقُ عصائرها
تتحلّبُ من عسلِ الصبحِ
فماذا حلَّ بذاك العسلِ المسكرِ
يا عمرَ الخمسينُ ؟

كانتُ روحُ الغيمةِ تتحلُّ على صدري
بنقاطٍ حلّيبٍ بيضاءِ
ولكن ييبسَ التينُ وجفّت بعصائرهِ الدمعةُ
ما ضركَ يا مطرَ الحسرةِ
لو شتوةِ دمعٍ بعدَ
يباسِ التينِ؟! .



العشاق الشعراء

في ذِيَاكَ اللَّيْلِ الْأَبْيَضِ
حينَ تَدُقُّ السَّاعَةُ مَنْتَصِفَ اللَّيْلِ
وتَسْتَيْقِظُ رُوحَ الْأَحْلَامِ

وتذوبُ نفوسُ العذريينَ سكارى
في إغفاءِ عشقِ زرقاءٍ ..

في ذِيَاكَ اللَّيْلِ الْأَبْيَضِ
حينَ تَهْفَهُ رَائِحَةُ الشَّهْوَةِ عَاطِرَةً
وتطيرُ عصافيرُ المَشْمَشِ في الدنِيا الزهراءِ

شخصَ العشاقِ الشعراءِ ..
(قيسٌ) وكثيرُ وابنِ حزامٍ ..
شخصوا من شبَّاكِ الحزنِ المجروحِ
إلى القمرِ المشرقِ كالكأسِ

وغاصوا في غيبوبة إشراقٍ وغشيّة سُكْرِ
وهيامٍ

فرأوا في مرآة الغسق الوردِيّ
ثلاثَ (نوافيرٍ) تتعاشقُ في رقصةِ ماءٍ ...

الأولى تتعالى كالدالية الخضراءِ إلى أوّلِ
عنقودٍ
كي تشربَ سقياهُ ،
وتسبحَ في تهويمَةِ أنسامٍ .

والوسطى تتسلّقُ كالموجةِ غصنَ المطرِ
الذهبيّ
وتهطلُ في شلالٍ غناءٍ .

والثالثةُ الشقراءُ
ترشُّ شروقَ الشمسِ بماءِ الزهرِ ،
وموسيقى الأعراسِ .

همسَ الأوّلُ : ليلى
وانسابَ كصوتِ صلاةٍ مهموسٍ في
الأجراسِ !
صاحَ الثاني : عزّة !
وانحلَّ كعطرِ الشوقِ على ريحانةِ آسٍ .

وبكى عروءة : عفراء !
وكمن ينظرُ في مرآةِ النورِ رأى
قرصَ البدرِ الصافي
يغورُ ورقُ بالدمعِ كعينِ الينبوعِ على بحرِ
ظلامِ

فتشكّلَ تحت سقوطِ الدمعةِ كالكاسِ .
وبكى (قيسُ) :
أسحاراً وأنا أتأملُ عند ضياءِ الفجرِ امرأةً
تغسلُ أكفاني البيضاءً على نبعِ الصبحِ
وتصنعُ تابوتي من حطبِ الأيامِ !
وتأملُ من نافذةِ الشجنِ الشفافِ
جمالَ سماءِ الليلِ يجلُّ عن الوصفِ
فأغمضَ عينيه وراحَ يحلّقُ تحت خيالِ الكونِ
العاشقِ
مبتعداً آلافَ الأميالِ !
ويغني في ببداءِ اللوعةِ مبتهجاً
يا ليلاءَ الليلِ العاليِ
ما بعدَ جمالِ سماواتِ العاشقِ في الليلِ
جمالُ !

كانَ الكوكبُ صافٍ
والفجرُ يجهجُه من جهةِ المشرقِ

أسرابَ حمامٍ تتكشفُ عن أسرابِ حمامٍ .

قالَ كثيرٌ :

يا دمعُ ترقرقُ في العين
ويا سعداءَ الروح ارتعشي يا سعداءَ !

ما بعدَ بكاءِ العاشقِ في العشقِ بكاءً !
عزّةُ ماءِ الغيمِ على الروح العطشى ،
والقلبُ المذبوحُ بمنقارِ يمامٍ !
وأنا أعماني العشقُ فلا أبصرُ في هذي
الصحراءِ سوى
ظبيةً صبحٍ تغسلها الشمسُ
بما ينسابُ من الدمعِ على بركِ الماءِ !

وأراني أركضُ حولَ البركةِ مثلَ غزالٍ
ظمانَ
ولا أجدُ الماءَ !
وتراءتِ عفراءُ لعروةً سارحةً كالغيمةِ في
دنيا ماءٍ بيضاءَ .

نادها بالإسم فلم تسمعُ
لوحَ بالكفين فلم تبصرهُ
يذوبُ كقطرةِ خمرٍ في كأسِ مدامٍ !

فالمرأةُ حينَ يسيلُ حليبُ الليلِ على عينيها
لا تبصرُ أو تسمعُ في الصمتِ المبهمِ إلا
رؤيا هادئةً
وبلابِلَ أحلامٍ .
(قيسٌ) وكثيرُ وابنِ حزامٍ ..
شربوا ماءَ الحزنِ بكأسِ الليلِ
وطاروا كثرلثِ قصائدِ عمياءَ إلى الشجرِ
العالِي
ليصيروا في أعشاشِ الوحشةِ أفراخَ حمامٍ .



الشحاذ

يا شحاذَ الحزنِ الدائرَ في الحاراتِ !

ضعِ قدرَ الماءِ على النارِ
وأوقدْ بالدمعِ الجمراتِ !

حلَّ الليلُ

فهاجتِ ساعاتُ بكائي في هجعاتِ أساهٍ !
آه تحرقُ آه !

الآنَ أسقَطُ في الماءِ المغليِّ دموعي
وأبخرها قطراتِ قطراتِ !
وأفورها كي تتألمَ بالنارِ الدمعاتُ !

فأنا ابنُ أخيكَ المتسولُ حزنَ الناسِ الأسودَ

نفسى ناسكة تجمُع ترتيلَ الرهبانِ من
الأديارِ
وروحى راهبةٍ تحملُ في جرّتها صوتَ
يسوعِ الله !

وأنا صاحبُ ذاكِ الصوتِ
الصائحِ من ألمِ الفاقةِ والوحشةِ
(باللهِ عليكم)
من يتعطفُ يا أهلَ العطفِ
ويعطيني أُعطيةً
تُنسى هذا القلبَ مرارتهُ
وجريرةً غربتهِ .. وأساه ؟!

من يملأُ لي شربةَ دمعٍ من عينِ فتاةٍ
ويعبئُ لي أغنيةً باكيةً في طاسِ الصدقاتِ
؟

كي أغسلَ وجهي حينَ يحلُ مساءُ الوحدةِ
بالماءِ الباكي ،
وأقولُ : (... وحيداً ووحيداً ووحيداً يا
دمعات)!

من يملأُ لي غليونى بالتبغِ
لأحرقَ أرواحاً تتألمُ في رُوحى السوداء

على شكل دخانٍ أبيضٍ
فغلايينُ الشخّاذينَ شحيحاتُ !
يا أهلَ العطفِ أنا الشخّاذُ المتواضعُ
أرجوكم بالغصّةِ والحسرةِ والآه !

قولوا للمتسولِ كلمةَ حبٍّ ،
أعطوه بقيّةَ قلبٍ ماتَ من الوحشةِ
واعطفُ يا شيخُ عليه
فما أعمالكُ من الوحشةِ أعماهُ !

دعني أتسوّلُ قربكُ
يا يراعكُ اللهُ ..
أفيءُ إلى جنحيكُ إذا هجعَ الكونُ
فنقعدُ عند كسوفِ الليلِ
غريباً قربَ غريبٍ
تطعمني خبزكُ يا جوعانُ
وتأكلُ خبزي
فالخبزُ شهّيٌّ بين فقيرينُ !

تسألُ قلبي المتعذّبَ
يا قلبُ لماذا تبكي ؟
فيجيبكُ : كيفَ برّبكُ لا أبكي

وأنا أسمع أصوات الرضع تجهش في
أعماقي
وعناقيد الأثداء العذبة جفت كعجاف التين
!؟

وبدوري أسأل كالتلميذ قداسة روحك
يا روح لماذا تبكين ؟
فتخبرني أن يسوع الله حزين !

فكلانا لا يملك إلا روحاً مرهقةً
وطريقاً يمتد بعيداً بين الوحشة والشوك !

يا قديس الطرقات
إذا أنت أخي في اليتيم
أنا في الخوف أخوك !
تبلوني بجريرة هذي الروح وأبلوك !

لكن يا عمّاه المتسوّل أين بنوك ؟

هل رحلوا مثل غيوم العمر
وفي منتصف الدنيا تركوك ؟

يا شحاذ الحزن القاعد كالهيم على أرصفة
الطرقات!

مرّر راحتك الرحمانية فوق جبيني
وانظر كيف ستملاً دمعاتي المذروفة
مذودَ جوعك بالقطرات !

هل أنتَ وحيدٌ مثل ابن أخيك المحزون ؟
يا عمّاه أنا أصحابي كثرٌ في الليلِ
ولكن لا يأتون !

رحلوا .. رحلوا في ورق النعوات !
وظللتُ أطوفُ في الأرضِ
لعلّي ألقاهم في الليلِ
ولو في خطرات ..

ما خطرتُ أطيفُ أحبائي يا عمّاه
فسلطنُ بالصوتِ البدويّ الضائعِ
في بريّةِ هذا الليلِ
(مواويلاً) وعتاباتٍ تُتلى بمصاحبةِ
النيايات !

واملاً بالدمعِ إنياءك من بكواتي الليليات !

فأنا طوّفتُ كثيراً في الأرضِ

قطعتُ جبالَ المغربِ حتى سفح الوحشةِ
ثم هبطتُ إلى وادي الصبحِ
ولكن لم ألقاه !
.. ما كنتُ لأعرفَ أينَ يقيم ،
ولا كيفَ أراه .
لكني أسمعُ صوتَ بكاءٍ يهطلُ من أعلى
هل ثمَّ بكاء في الأعلى يا الله ؟
هل ثمَّةُ أحزانٍ وأنينٍ ؟

يا شحاذَ الحزنِ الداشرِ في أحياءِ البكائينِ !
نادِ على الناسِ وغنِّ بأصواتِ الباعةِ !

يا ناسُ أنا جوعانُ وأولادي جوعانينُ
وبناتُ القلبِ جياعةُ !



كونشيرتو الأنهار

يا من يسهرُ قربَ النهرِ
ويصغي لخرييرِ الماءِ وسقسقةِ الغيتارِ !
يسهرُ مخلوباً بالإصغاءِ
ويغرقُ في دنيا مسكرةٍ زرقاءٍ ..

يتشهى العاشقُ أن يغسلَ عينيه بماءِ امرأةٍ
زهراءِ
تتشهى المرأةُ أن تغسلَ ثدييها بحليبِ
الأقمارِ ..

تتشوقُ في العشقِ ضفائرُ مسبلَةٌ
أن تتمشطَ فوقِ نعاسِ العاشقِ (سوداءِ) ،
سوداءِ
وعصافيرُ السكرِ أن ترقصَ في معزوفةِ
أوتارِ

شفَّ جمالُ الكوكبِ معكوساً كالصورةِ في
الماءِ الساكنِ
وامتزجت رائحةُ الخمرِ برائحةِ النهرِ
وراحت تهطلُ عاطرةً في القلبِ الأمطارُ
...

فاغرقُ كالسكرانٍ بماءِ المطرِ الأزرقِ !
وترقرقُ كهلالٍ ذهبيِّ النورِ على بركةِ
زنبقٍ !
وتحلّقُ فوق بحيراتِ شروقِ الشمسِ كطائرٍ
لقلقٍ !
وتذوقُ لذةَ موسيقى الصمتِ الصافي ،
وسكونِ الأعماقِ !
... لذةً أن تجلسَ قديساً قربَ غديرِ الدمعِ
الرقراقِ
فالبدرُ تكوّرُ كالنهدِ وراحَ ينقّطُ
نوراً عسلياً في الأحداقِ
و الخمرُ ترفُّ بجنحِها المائيين
على أغصانِ الغبطةِ
والرؤيا بجناحينِ هلاليينِ ترفرفُ رائعةً
الإشراقِ
ما أحلاه سقطُ فؤادِ المرأةِ
كالتفاحةِ في بركةِ ماءٍ

تنداح دوائرها أطواقاً أطواق

وصعودُ فؤادِ العاشقِ كالتفاحِ الأحمرِ
نحو جمالِ الأنوارِ !

يا من يسهرُ قربَ النهرِ
ويشربُ خمراً باردةً الإسكارُ
وخريرُ الماءِ يسفسقُ كالغيتارُ

إرفعِ كأسكَ في صورتها البيضاء ،
وكوزكَ ذا الشكلِ الكروانيِّ ورأسِ الهددِ
واشربُ تحتَ جمالِ الليلِ الرائقِ
روحَ الرمانِ وربَّ الأعنابِ !
فنسيماتُ الليلِ تهبُّ حليباً
وسكونُ الليلِ الإبريقِ
يقطرُ صمتاً
تسكرُ تحتَ تقطره الأرواحُ .

إشربُ تحتَ سماءِ مرضعةٍ
تتنزلُ من شجرِ اللوزِ
حمامها النهديَّةُ كالأسرابِ

فالأفواهُ (الرضعُ) تحت دواليها

تتوسلُّ أئداء العُناب .
والعشاقُ يغنونَ ثمالى
بين حفاقي الليلِ ..
وروحك طيرٌ مدَّ جناحيه وراحَ يحلُّقُ في
الأفقِ الطلقِ
وتتبعهُ أزواجُ طيورِ الجنَّةِ
في زفَّةِ أفراحِ !

... العصفورُ الأحمرُ والحجلُ الأبيضُ
والطاووسُ الأخضرُ
والكروانُ الصدّاحُ !
فعلى يمينك تصفُّقُ أسرابِ حساسينَ
على أغصانِ الموسيقى
وعلى يساركَ زنابقُ تسقيكَ العسلَ الصافي
وخيالكَ صرفُ
يحملهُ الماءُ بزورقهِ الفضيِّ
إلى الفردوسِ المتجوسقِ زقزقةً وصداحُ .

... ..
فجمالُ الناسكِ في الناسكِ
جمالُ الناظرِ نحو شروقِ الشمسِ
الطالعِ مثلِ قلوبِ التفاحِ ...
وجمالُ العاشقِ أن يحملَ أنثاهُ على الطيرانِ
لتلمسَ أطرافَ الغيمِ جناحاً بجناحِ .

فتعاشقُ مع أنثاكَ تعاشقَ عنقودينِ
يذوقانِ حليبَ السكرِ من داليةٍ
ملأى بالأنداءِ !

أنثاكِ ككأسكِ ملأى بعصارةِ ماءِ الغيمِ
فذوّبها بين شفاهكِ صهباءَ محلاةً
بسلافِ اللذةِ والإسكارِ !

طعمُ زيتونةِ حزنكِ باللوزِ
وغصنِ المشمشِ بالأجاصِ
لتؤتي أغصانكِ مشمشها ،
وعلى كلِّ غصينٍ يرقصُ عصفورُ غناءِ
!

واسهرُ مخلوباً بالإصغاءِ
إلى سوناتا الينبوعِ وكونشيرتو الأنهارِ !
إسهرُ سهرَ الناسكِ في أعراسِ النهرِ
لتسرخَ روحكُ كالهدهدِ
ما بينَ ترنمِ أجراسِ وتسقسقِ أصداءِ !
فالماءُ دموعُ نساءٍ ذبنَ مع الغدرانِ
وصرنَ شفاهاً تتفتّحُ في الشهواتِ شقائقِ
حمراءِ

والماءُ ظهيرُ الروحِ الشفافِ .
ماءٌ يبكي ماءً يضحكُ
ماءٌ يلعبُ بالناعورةِ
وهي تعنُّ عينَ الريحِ على الصفصافِ .
ماءٌ تنتشهُي الدمعةُ أن تسقطَ فيه
وتصدرَ أصواتاً بيضاءً .
ماءٌ يمرحُ في أهزوجةِ دمعٍ وتراقصِ
أصدافِ .
والماءُ جمالٌ فتاةٌ أخذتُ
أغراها بالموتِ شروقِ الشمسِ الرائعِ
فانحلَّت بحليبِ الينبوعِ
كما ينحلُّ الثلجُ مع النفثِ .

ما أكثرَ ما أبصرها الليليونَ
تمشطُ تحتَ المطرِ الأزرقِ
شعرَ سنابلها الشفافِ .
فانهلُ ما يجعلُ هذا الليلَ
رضاعاً للروحِ
وما يجعلُ ريحانةَ حزنكُ شربةَ ماءٍ !

فالعشاقُ يغنونَ على صوتِ المزمارةِ ..
والفتياتُ يمننَ على صوتِ الغيتارِ .

يا من يسهرُ قربَ النهرِ ويستغرقُ في هدأةِ
أسرازِ !
والقمرُ المتوضئُ بالشهوةِ يطلعُ قديساً من
بركِ الليلِ
ويسبحُ في عينيكِ بنسكٍ
وخشوعُ

دعني أتأملُ صورةَ نفسي في الينبوعِ !
أبكي كالشاعرِ قدامَ الليلِ
لكي تتطهَّرَ روحُ الشاعرِ
عاريةً في الأسحارِ ..
دعني أسلكُ في غيبوبةِ عينيكِ الصافيتينِ
سبيلَ يسوعِ

ما أجملَ أن تبصرَ صورتك المعكوسةً
في نبعِ دموعِ ..
تتحلُّ إلى قطراتِ سكرى
وتسيخُ مع الموسيقى
بين حوادي الشجرِ الحاني
وحفافي الأنهارِ !
ما أحزنَ أن يرحلَ عمرُك
كالنهرِ الجاري من دون رجوعِ !
* * *

يا صوتَ الماءِ المتترقِرِ بالغصّاتِ
الحيّرى
والأنفيسِ والأرواحِ !
لا صوتُ الغيتاراتِ روانا بالحزنِ
ولا شربتُ كأسَ مدامعنا الأفراخِ !
مرّاتٍ يجعلنا الحزنُ حفيفاً للريحِ
ومرّاتٍ نهتزُّ مع الريحِ كأعشاشِ جراحِ !
ما حملتِ أمواجُك من أدمعنا يا نهراً
سوى الأتراخِ !
فاملاً كأسَ العاشقِ بالماءِ الينبوعيّ
وسافرْ بأباريقك من مشرقِ هذي الأرضِ
إلى مغربها
كي تسقي تحت الأرضِ عذاباتِ الأشجارِ !

فامرأةُ الحبِّ اليائسِ
تجلسُ مصغيةً لخرييرِ الغيتارِ ..
والعشاقُ يهيمونَ سكارى في الأنهارِ .



سرير العروس

أنثويُّ طلوعُ الصبيحةِ فوق سرير العروسِ
وأمشاطُهُ الذهبيَّةُ مغمورةٌ بسنابلِ شعري
تصفِّفُ أجنحةً وخصلُ .

شمعةٌ شمعةٌ زفني للأماسي !
فمن قامتي يطلعُ الضوءُ سيفاً
ومن ساعديّ تسيلُ شموعُ العسلِ .
أرضعتني السهوبُ حليبَ الينابيعِ
والتلجُ ذوبَ رغوتهِ فوق صدري الرضيعِ ،
ولوَّحَ ما بين تفاحتيه هلالٌ صغيرٌ كموزِ
الجبَلِ !
فاستطارَ القطا

واستطارَ الحجلُ .
لكأني امرأةٌ تتخلَّقُ من شهوةِ الضوءِ ..
أجملُ من قزحِ سابحِ في الصباحاتِ

رقصي ،
و خصري تزأوجُ نهرين فوق سرير
السهل .
ذابتِ الشمسُ كالمشمشِ المشتهى في
خدودي
وفي ناظريّ تلاشى بياضُ
وجهة أزرُق .
وهناك حيث الأثوثةُ والشمسُ تغتسلان
بنهر الحليبِ الصباحيِّ
ينضجُ صدري على أمّه
عنباً كالعقيق على غصنه الذهبيّ معلّق !
أزهرَ الخوخُ مثل الثريّاتِ بين أصابع
عرسي
فصوتي كأسُ موسيقى ،
وقامتِي الأثويّةُ صلبانُ زنبق .
كلما احتكّ ثوبي بنهد الرياح
استحالت سماءٌ من الكستناء إلى شرفةٍ
تتطلّع منها الغيومُ إلى مشهدٍ (أبيضٍ) لا
يُصدقُ
كلما فصلَ الخوخُ ثوباً لأغنيةٍ في الزفافِ
رفعتُ إلى الخوخِ جسمي
فجسمي لبوسٌ ..
والغيومُ تغطّ ضفائرَها في دماءِ الصبيحةِ

ثم ترشُ سطوحَ الطفولةِ بالسُّسبيلِ المعثَّقِ
كَلِّمًا نَسِجَ اللُّوزِ ثوبَ الضحَى لجمالِ
العروسِ .

الفتاةُ تغنيَ وشبَّاکها بالغيومِ معشَّق

ياحبيبي الذي يغمدُ الآنَ عينيه
في نبعِ صدري الصبِّيِّ
وزرقةُ عينيِّ سابعةٌ في بحيراتِ عينيه
كالبعجاتِ !
هزني العشقُ مثل اهتزازِ غصونِ الأصائلِ
فاشربْ نبيذِي بكأسِ الأنوثةِ
واسكبْ دمي زاهراً لسقايةِ ما يتفتَّحُ من
سوسناتِ !
وافرشِ العشبَ لي كالوسائدِ
كيما أنامَ على ساعدِ النهرِ كالزنبقاتِ !
فالبلابلُ تحملُ أعراسنا بمناقيرها
وتحلِّقُ زوجينَ زوجينَ فوق جمالِ السهبِ
وحناجرها الذهبيةُ تصفرُّ
فوق حبالِ الصدى أَعذبَ الزقزقاتِ .
مُشتهى يا عنبُ !
مشتهى يا غزالاً يدوزنُ بالرقصِ حقلَ
القصبِ ..

مشتهاة العصائر يا برتقالات حبّ مذهباً
تتوالد من أمها كالكؤوس !

أنثويّ طلوع الصبيحة فوق سرير العروس
!

يا جموعاً من الطير
راقصةً في البساتين
رشي المدى بالفراش الذي يتوالد بين
ضفائر شعري المقصّب !
فشمائل شعري فاضت على كتفي
وراحت تجفها الشمس مثل عروق
السفرجل
فوق الحرير المرطّب ..
وغيومي المغنّاة تعلق وتهبط مثل الكمنجات
من شرفتي
وترفرق في شهواتي السنونو وتلعب !
كالقطاة أنا
مشيتي كالجداول معزوفة
واليمامات طوغ يديّ تجيء وتذهب ..
والثلوج التي تتساقط دافئة من نهود
الغييمات
تجمعها بالفناجين لي القبراث
لكي أستحمّ وأشرب .

كجفون الحساسين وهي تنام على سلّم
السقسات
ينامُ التطلُّعُ نحو البحيراتِ في ناظريّ،
وأشهى وأطيب!

وتهزُّ زنودُ الغصونِ الطريّةُ قلبي الرضيعِ
فيغفو على راحةِ الهدهداتِ
كطائرٍ مطلقٍ .

الفتاةُ تغني وشباكها بالغيومِ معشوقُ

يا حبيبي
تعضُّ نسيمةُ صبحِ ذراعي
فتترأُّ عضةً خوخِ
وصحناً من الأحقوانِ !
وينقرُّ سربُ حساسينِ
ما يتلألأ من سكرٍ (أبيضِ) فوقِ صدري
الصبيّ
ويشربُ ديكُ الطواويسِ
كأسينِ من بيلسانٍ .
لكأني بنتُ الزهورِ التي أرضعتني عطورَ
الأنوثةِ
حتى سكرتُ وسالتُ عصائرها السكريةُ في
خضرتي وازهراري .

تتطايرُ حولي الحماماتُ
والكروانُ السماويُّ يسكبُ أصواتَهُ
كالأغاني
وتقفزُ بين ثيابي طيورُ
الكناري .
فلماذا إذن لا يزفُّ جمالي الضحى
وغصوني حبلَى بتقّاحتين

يعضّهما الضوءُ
وهو يطلُّ على فرسٍ من شمسٍ ؟
أنثويُّ طلوعِ الصبيحةِ فوق سرير العروسِ
.

الناس القديسون

قرويون
نحنُ نحبُّ النورَ ونعشقهُ مطراً فوق اللوز
ونحنُ نحبُّ اللوزَ
ونزرعهُ خلف شبابيكِ العشق
لجعلنا أجملَ إبصاراً ، وأرقَّ عيوناً !

...
ونحبُّ طلوعَ الشمسِ على الأرضِ
المزروعةِ بالريحانِ
ونمشي في طرقاتِ الحقلِ بإيقاعِ موزونٍ !

...
ونعودُ مغيباً مشدودينَ الى رائحةِ الخبزِ
ولكن لا نتعبُ حين ترافقتنا النسماتُ
السكرى
وشوابيطُ الطيِّونِ .

...

نحنُ نحبُّ جمالَ القمرِ المطويِّ على سرِّ لا
نرقاهُ ..

...

قمر يتألَّقُ كالعقلِ الأبيضِ في جمجمةِ الليلِ
ويرسُمُ فوق صباحاتِ الدنيا
أولَ حرفٍ من إسمِ الله !

...

ونحبُّ غروبَ الشمسِ
لأنَّ غروبَ الشمسِ لهُ حزنٌ فينا
ويسيلُ الحزنُ كقطرةِ دمعٍ من تقواه

ولأنَّ اللهَ له سرٌّ في الأرواحِ
فنحنُ نحبُّ اللهَ !

...

في أيلولَ نغطُّ النايَ بدمعِ العينِ
وننفخُ فيه مجاريحَ
وأيامَ العشقِ
بمنقارِ البلبلِ نبري صوتَ الموالِ
ونطلقهُ في الليلِ ولو عاً وحنونُ

...

ونحبُّ اللونَ الأزرقَ ممزوجاً بالأبيضِ
تحتَ سماءٍ شهباءِ
موشحةٍ بالليمونِ .

...

في الحزنِ نرَبِّي الدمعةَ في كأسِ الليلِ
ونسقيها ماءً أسانا
فإذا جاءَ الصيفُ
نرَبِّي الأغنيّةَ في عشِّ الحسونِ .

...

الآنَ وقد اعتمتِ الدنيا سننًا
ونحنُ نراقبُ شمسَ المغربِ
كيف تدوبُّ على طبقِ الكونِ
كحبةِ زيتونٍ

قرويونُ .



لابسة الأبيض فوق سطوح العليات

راق شروق الشمس
وراق حليب الطيبة في إبريق العاشق
والمشهدُ راق !

... ..
وانشقَّ فؤادُ الفجرِ الرّمانيِّ إلى قلبين
المشمشُ والدراق .

... ..
لكأنَّ الكونَ نوافيرُ شموع زرقاء
تراقصُ أغنيةً من أشعارٍ ..
وضفائرُ عشتارَ غيومٍ تتطايرُ ممطرةً مثلَ
شرائطٍ من أفراح !
راق جمالُ المطلعِ راق
ووقفنا فوق سطوح الرؤيا مسحورينَ

نراقبُ روعةَ هذا النورِ السائلِ كالماءِ
الرقراقِ ..

فرأينا الدنيا طالعةً كعروسِ الصبحِ
ومن عينيها تستقطرُ كلَّ دموعِ اللوزِ لتسقي
أكوازَ الأزهارِ ،

وعصافيرَ الوردِ
تغني بحناجرها الذهبيةَ بين نواقيسِ
الفصحِ
وأجراسِ التفاحِ .

وعرفنا ما يجعلُ من جسدِ العاشقِ شجرةَ
حورٍ تملؤها الريحُ
جراحُ .
وعرفنا ما يجعلُ من جسدِ المرأةِ نافورةَ
أمطارٍ .

فارفعِ كأسكَ حتى تتلامسَ مع كأسِ اللهِ
الأجملِ في الإسكازِ !

وتأملْ منذنةً تتسلقُ صوتَ آذانِ الفجرِ
إلى صمتِ اللهِ المطلقِ حاملةً
ماءَ الدمعاتِ !

.. ارفع كأسك كالصوتِ إلى سلّمِ أجراسٍ
كي تبلغَ بالصبوةِ سبعَ سماواتٍ !

فرنينُ كؤوسِ الخمرِ يحركُ في الغيمةِ
شهوتها للإمطارِ .
وعلى سبعةِ أقداح
تعزفُ لابسةُ الأبيضِ سوناتا من سبعةِ
أصواتٍ ..

يا لابسةَ الأبيضِ فوق سطوحِ العلياتِ !
وضفائرُ شعركِ من ريشِ الشمسِ الناعمِ
تلعبُ بالريحِ كأجنحةِ البجعِ البيضاءِ .
هل أنتِ سحابةٌ صيفٍ سابحةٌ في الغاباتِ
,

فلا تسمعُ
أو تبصرُ غيرَ كماناتِ سارحةٍ في تنغيمَةِ
حبِّ غناء؟

ما أحلى مندليكٍ وهو يغطُّ من السطحِ كقبرةِ
الحقلِ
على بركةِ ماءٍ ؟

فامشي مشي الهددِ بين الوردِ
ودوري راقصةً في شكلِ حماماتِ

أوتشكيلِ يماماتُ !
ثوبكِ ثوبُ الفجرِ المنسوجِ برقتهِ الشَّهَاءِ
تهفهفهُ الرِّيحُ فيطلقُ غيماتٍ غيماتٍ ..
وذراعاكِ غزالانِ صغيرانِ
يسوقانِ ظمَاءَ الغدرانِ إلى شتوةِ غيمِ
تتهاطلُ كالأتداءِ .
فانسي في الرقصِ جمالَ الرقصِ
وطيري كالنحلةِ بحثاً عن قطراتِ السُّكَّرِ
في زهرِ الشرفاتِ !

رقصكِ سربِ إوزاتٍ
تطلعُ من خاصرةِ النهرِ صباحاً مثل
القديساتِ !
رقصكِ كشَّاتٍ (عسافيرِ) تتطايرُ في
فردوسِ أغاني ..
وشموغُ تتلألأُ بالأضواءِ
على حنَّاءِ صواني .
رقصكِ رفُ زرازيرٍ منقطةٍ بالنورِ
ترفرفُ في الأفقِ المطلقِ
زقاتٍ زقاتٍ .

يا لابسةَ الأبيضِ فوقِ سطوحِ العليَّاتِ !

ما سلنا في الحزنِ سكارى

أو بللنا بالدمع المرثيات !
لم نرقصن تحت المطر الإيقاعي الموحش
مغتبطين بأشجان الرياح وأفراح العشاق !
لم نرقصن رقص طواويس الصيف
أمام جمال الشمس .
ولا ررقنا شهوات الهدد في الأشواق .
يا لابسة الأبيض
لا أجمل من صبحية عرس العاشق في
الأصباح !
فاسقي أصص الزهر السكرى
بعصائر من أعناب الفجر
ورب الرمان السائل في الأقداح !
ضمضم خيط الليل
ومالت للغفوة أقمار الدراق ..
وأطلت شمس المشمش رائعة الإشراف !

فدعيني أغسل قلبي
في ينبوع صبيحتك الصافي
حيث اغتسل العصفور
ولون بالزرقة كل الماء !
فأنا قطعة تلج ذابت في موجة ماء ..

وأنا بركةُ دمعٍ شققت تحت
جمال الليل المائي
وغاصت في غيبوبةِ ظلماء .

تترأى في عيني قلوبُ الناسِ مبللةً بالدمعِ ،
وجوه الغيمِ مبللةً بحليبِ الحزنِ ،
وأرملهُ الصفصافِ أمومةً دمعِ
باكيةً في قداسٍ .

فلماذا يسكنُ قلبي قديسُ الليلِ
ويبكي يأسَ الناسِ ؟
ولماذا لا تهدأُ في صدري أصداءُ نواقيسِ
النعي ،
ورناتُ جراحِ الأجراسِ ؟
أجلسُ في أبكرِ ساعاتِ الفجرِ وأبكي
قدامَ البحرِ
وبستانِ الخوخِ المزهرِ يرضعني
كصغارِ غراسٍ !

.. وأنا من فرطِ دموعي في سكراتِ الحزنِ
الأبيضِ
ذوّبني الليلُ مع الموسيقى كالهمساتِ ،
وسيلّني (الكأسُ) إلى صهباءِ .

(صهباء) تتصقّى كحليب ليالي الصيف
فترشخ منه جراز وجرار .

يا لابسة الأبيض والشال الوردي
المتلألئ بين الدفلى والأزهار !

والريخُ تلاعبُ فستانك فوق سطوح العليّات

من أيّ جمالٍ طلّع النورُ الريحانيُّ
ورقص بين يديه جمال القديسات ؟
وبأيّ مناديل يرش علينا الثلج
أساوره البيضاء ؟

من أيّ سماءٍ مرضعةٍ
يرشقنا الغيمُ العالي
بخواتمه الخضراء ؟

لكأنّ الأشجارَ شموعٌ تتشعشع تحت الشمس
وخصرك يلعبُ كالعصفور على معزوفة
مزمار ..

وكانّ الفجرَ فتاةً ترقصُ كالأغنية
الغنّاء على سطح الدار !

لوحَ رمانُ الفجرِ شهياً
واستيقظت الدنيا باقاتٍ باقاتٍ !

والنورُ صبيُّ
شَمَرَ عن زنديهِ
ليغسلَ وجهَ الدنيا في بركِ الصيفِ
فتستيقظُ مثلَ غيومِ الشهوةِ
شلحاتٍ شلحاتٍ .
يا لابسةَ الأبيض فوق سطوحِ العليّاتِ !
فكّي أزرارَ قميصك من جهةِ الصدرِ
لترضعَ من هذا النبعِ زغاليلُ الغيماتِ !
وارمي ثوبَ زفافك للريحِ
لنسمعَ صوتَ الغيتاراتِ !
عبقَ العشقُ برائحةَ الليمونِ
وزهراتِ الآسِ الشّهَاءِ ،
وسالَ النورُ على أعيننا كالماءِ الرقراقِ !
وظلوعُ الشمسِ جميلُ المشمشِ والدرّاقِ .



يا حادي !

سيرى جمالَ الحزنِ من وادٍ لوادى !

وارفعِ حذاءَكَ فى ظلامِ الليلِ
يا حادي البوادي !

أبكيتهى عند الرحيلِ
ولم يزلْ مسراكْ فى الأسحارِ بادي !

ما مدَّ حزنٌ صوتَه المبحوحَ فى الصحراءِ
إلا وانحنت فوق المآذن أبجدياتُ الرحيلِ
وغصَّ بالأوجاعِ ترجيعُ المنادى !

لكأنَّ رجَعَ حدائكُ البدويِّ
ناقوسٌ يفرِّغُ حزنَه فى الريحِ

أو جرسٌ يدقُّ على حديدِ الموتِ من ألمِ
الحدادِ .

وكأنَّ صوتكَ في صحارى الأَرْضِ
إنشادٌ فراقِيٌّ على أطلالٍ من رحلوا
وخلّوا وحشةً في الروحِ
أو سكنوا إلى دنيا الرمادِ !

وكأنّما هذي الحياةُ ترحلُ وتغرّبُ
ما بين شمسَيْنِ اثنتينِ
وأنتَ ما بين الصبيحةِ والعشيّةِ
رائحُ بالحزنِ غادي !

صعبتُ عليَّ الروحُ حينَ رأيتُ ركبكُ
راحلاً
في الليلِ
وانهمرتُ غيوم اليأسِ في طرقاتي العرجاءِ
وارتفعَ الغبارُ على رمادي .

لم يبقَ غير الصمتِ والهجرانِ في هذي
الديارِ ،
وذنبُها العاوي على جرفِ الرياحِ الهوجِ
سلفني قفازَ طرادِهِ الجوعى
وقد حانتُ مواعيدُ السدادِ .

فارفعُ حدائِكَ في ظلامِ الليلِ يا حادي
البوادي !



أنزل فانوسك في البئر لتبصرني

أبدأ كنتُ أراه
من فرجة نورٍ
في بئرِ الدارِ المهجورةِ
رانيةٍ نحو سماءِ الله ..

وأنا أرقدُ مقبوراً في رحمِ البئرِ
المعميةِ بالعماتِ
حزيناً كالأمواتِ !
.. بئرٍ تتسلقها يائسةً
حشراتُ الطينِ السوداءِ
كأرواحِ أناسٍ موتى
وتدوبُ دموعُ النعواتِ !
... أتطلعُ نحو الأعلى فأراه ..
يتأملُ نشوانَ
جمالِ الأفقِ الكاملِ في صورتهِ الأنقى ،

والنورَ الروحانيَّ برقتَه الريحانيَّة
مسكوباً بكؤوسِ قمريةً .

فأصيحُ عليه برجع الياءِ الموجعِ
يا قديسَ الله !
يا هذا الرجلَ الأبيضَ بين حمامِ العليّاتِ !

يا من تسهرُ في صحنِ الليلِ العاليِ
وحواليك تحطُّ البجعاتُ بصمتٍ
كقناديلِ صلاةٍ ليليَّةٍ !
يا هذا القديسَ الشاردَ تحت أماسي
الموسيقى
والسارحِ بين مسرّاتِ الروح
وأسرجةِ الحزنِ النورانيَّة

هل تبصرُ درباً مزهرةً عبر رواقِ الغيمِ
تمرُّ بفردوسٍ من أنهارٍ ،
وتوائمِ أقمارٍ
تتلاعبُ فوق حفاقي الجنّاتِ ؟

هل تبصرُ عند مساءاتِ الحزنِ المكسورةِ
سهريةً نساكٍ حول سراجِ النورِ

وقد شققت أنفسهم ككؤوس البؤر عن
الأسرار؟

هم أحبابي العشاق وقد رحلوا
في ورق النعوات وصاروا قديسين!

أولا تسمع في سكتات الليل اليوسف
والياسين؟
أولا تسمع في الصمت نحبيهما
أخوأي هما
وهما في روي الدمعة والسكين!

أولا تبصرني وأنا أتطلع نحوك
من قاع البئر حزينا
قرب حبيبي الطين؟
إذآك رآني من علياء الليل
وأردف مذهولاً
من يرفع من أعماق الوحشة
صيحته الصلبيية؟
فأجبت بصوت مجروح
أحد ما .. يا جدي .. أحد ما
أحد ناداك
ليستعطف قلبك يا جده!

أنزل فانوسك في البئر لتبصرني
أترأى في عين الماء المتطلعة العمياء
كظل يسوع الله !

أرجوك بقلبي اليأس
ارفعني من ميتوتة حزن سفلى ، سوداء
إلى غيبوبة سكر علوية !
ارفعني كي أطفو فوق بحيرات الغبطة
كشراع أسيان
وكي أتطلع من أعلى نحو جمال الغابات !

خذني بين جناحيك
لكي أترهب كالطائر في الريح
فلا أسمع غير غناء الكروان
على شجر الغيتارات !

ما أعذب ذلك الفردوس
تطالعني شمسُ الصبح كأنجيل أبيض ...
وتدويني شمسُ المغرب
كالشمعة في قداس صلاة

خذني لأعيش هطول المطر المتوحش

كالكونشيرتو العاصف
من رجع عذاب المعزوفات !

فأنا منذُ زمانٍ أبحثُ عن جُلجلةٍ لجراحي
وأفتشُ كالحطّابِ عن الخشبِ الأقسى
للصلبانِ ..
لأقيمَ وحيداً بين شتاءاتِ البردِ وهجرِ
الصيفِ
وأشخصُ في رؤيا العالمِ كالرائي السكرانِ
!

أولا تملكُ أن تعطيني في شجرِ الأعشاشِ
العالِي

عشّ قِطاةً ؟

فأنا أنتشردُ بين قلوبِ الناسِ بلا مأوى
مجروحاً بردانُ !

يا هذا الرجلَ الأبيضَ بين حمامِ العليّاتِ !

يا من تعشقُ كالنّسكِ حياةَ العزّلِ في
الأبراجِ ،
وترجيّعُ الأشعارَ على أسمعِ الريحِ
وحولكُ كلُّ نساءِ الأرضِ حماماتُ !

زوّجني يا أبيضُ ..
يا ابنَ بياضِ الحزنِ الطاهرِ
تحتَ جناحِ طهارتكِ البيضاءِ
حمامةَ حزنٍ
كي نتلامسَ تحتَ زلالِ الليلِ الينبوعيِّ
كعنقودينِ بداليةِ الإيقاعاتِ !

زوّجنيها يا أبيضُ
كي نتلاطفَ مثلَ قميصينِ على حبلِ غسيلٍ

،
ونطيرَ صوتينا كالأوتار
مع الريحِ المملأى بالأهاتِ !
زوّجنيها فأنا ميتٌ في حزني
وأعيشُ بحزنٍ ماتٍ !
* * *

من فرجةِ نورٍ
في بئرِ الدارِ المعميةِ بالعثماتِ أراه
فأناديهِ حزينا .. يا جدّاهُ !
يا هذا الرجلَ الباكي
برداءِ الزهدِ الأبيضِ بين حمامِ العليّاتِ !
يا هذا الجالسِ كالشاعرِ
تحتَ جمالِ الأجنحةِ البيضاءِ
ويا هذا السامعِ موسيقىِ البلبلِ

في أعلى الشجرات !
أيّ هدوءٍ يجري كالنهر الرائق
في عينيك الناظرتين إلى فينوس النور
الزرقاء ،
وأيّ شراعين يذوبان بضوءهما
المتألق في المشرق والشرفات الوردية ؟

أشفقُ باللهِ عليّ
وأخبرني ماذا تتأملُ في الأعلى

-أه يا ولدي
أتأملُ منشرحَ الصدرِ جمالَ غروبِ الشمسِ
المرفوعِ كسلّةِ رمانٍ
تحملها في دربِ النبعِ ثلاثُ صبيّاتٍ !
-ولماذا تبسطُ جناحك وتعلو بالإنشادِ ؟
-أدوزنُ بالأوتارِ الملهوفةِ سبعةَ أطيّارٍ
تتناغمُ بالتصفيقِ سكارى
وتدورُ بنشوةِ إيقاعِ صوفيّةٍ !
وبماذا تخبركُ الریحُ العالیةُ الهبّاتُ ؟
- أه الریحُ هنا دنیا من رعشاتٍ !
- ماذا تسمعُ في تلكِ الأبعادِ الموحشةِ
الليليةِ؟
- أسمعُ موسيقى تطلعُ من قلبِ القمرِ
العاشقِ

كالغصّة من سعداءِ الظلماتِ !

أسمعُ موسيقى الأنهارِ الزرقاءِ تهزُّ حبالَ
الصوتِ
وتسقطُ فوق المتعةِ شلالاتٍ ..

فالإصغاءُ إلى الموسيقى
عبرَ حفاقي الليلِ صلاةٌ .
* * *

آه يا جدّاهُ !
أنتَ بكيتَ وعانيتَ
تعذّبتَ وصلّيتَ
وصارَ بمقدوركَ أن تسمعَ صمتَ يسوعِ اللهِ
!

وحماماتُ التقديسِ
ترفرفُ حولَ مصلاكِ الهادىءِ
جوقاتٍ .. جوقاتٍ ..

وأنا أجنمُ كالصخرةِ في هيئةِ راهبٍ ليلٍ تاهُ

آه يا هذا الرجلَ الغارقَ في أسرارِ اللهِ !
آه .. آه .



بيت المسافر

المساءاتُ بيتُ المسافرِ
حين يحنُّ إلى أهله الغائبين .

والمساءاتُ غيمٌ كفيفٌ
يذوبُ دمعتهُ في جرارِ الأنينِ .
* * *

المساءاتُ صمتٌ وجوه النساءِ اللواتي
بكينَ على عتباتِ البيوتِ ..

_شاخصاتٍ إلى أفقٍ من سكوتٍ _
أعيناً أغمضَ الموتُ أجفانها المتعبة !
فإذا الشمسُ غابت وراءَ المغربِ
أطبقتُ أجفانهنَّ على نغمِ الحزنِ
يمتدُّ بين القلوبِ كصوتِ صموتٍ ..
وإذا هبَّتِ الرياحُ في الليلةِ الناعبةِ ..
غبناً ، لم يبقَ منهنَّ غيرُ تماثيلٍ مشبوحَةٍ
وظلالِ تموتُ !
فالعيونُ الحزينةُ
تشخصُ في ظلمةِ الموتِ
سائلةً أوجهَ الغائبينَ
بعد ليلِ الأسى أن تبيّنَ !
والمساءاتِ مأوى الغريبِ
إذا اغرورقتِ روحُه بالحنينِ

* * *

فامنحيني مرثيتك في الليلِ
يا أمِّي الراهبة !
دثّريني بشلالِ شعركِ
عند الهجوعِ
لأسهو قليلاً عن الموتِ تحت السوادِ الحميمِ
!
فغدائرُ شعركِ في الليلِ عرزالُ غيمِ .

دثريني لأسكرَ نفسي برائحةِ الحزنِ
حين تغنّينَ عند المغيبِ أساكِ الطويلِ
على حسرةٍ ذاهبهٍ !
* * *

فالمساءاتُ منأى الذين يموتونَ
قبلَ الأوانِ !
والمساءاتُ مأوى الذين يعيشونَ أغربةً ،
(فاقدينَ الأمانَ)
..شوقُنا للبكاءِ على من نحبّ ،
انتحابةُ أرواحنا المستباحةِ
قي لحظاتِ الأسي والكآبهِ !
ومن القلبِ يصعدُ صوتُ العذاباتِ
يشكو عذابهً ..
وعلى الصدرِ يغفو الحنانُ .
فالمساءاتُ كهفُ المسافرِ
حين يحنُّ إلى صوتِهِ في الكمانِ .



رقصة الكروان

سامحتك بالقلب اليأس يازرياب !

النايات ترفرف كالبعجات على كونسيرتو
العاشق
والمطرُ العاطرُ يهطلُ أوتارا أوتارُ ..
والنهرُ يسيلُ زلالاً مع صوتِ الغيتارُ .

فيم سكوتك
والسكرُ مسيلُ دموع العينِ على الأكواب ؟
فيم سكوتك يا زرياب ؟
المغربُ أسرابُ نجومِ
تتشعشعُ في بستانِ شموغ ،
وسلالٌ تنتزلُ فوق سلال .
فالعاشقُ يبكي من فرطِ جمالِ الينبوع ..
والجسدُ الأبيضُ للمرأةِ ينبوعُ جمال !

والخمرة ذاتُ الطعمِ الرائعِ راحت
تتقطرُ صافيةً مثلَ كريّاتِ البلورِ
فتجمّرُ في الكأسِ نقاطِ النورِ .
والقمرُ الأروغُ فوقِ نواظرنا
يتوالدُ في الليلِ هلالاً بعد هلالٍ .
هوذا الليلُ كثوبِ العرسِ
يهرهُرُ زهراً أخضرَ فوقِ حدودِ الدنيا
والفجرُ يشفقُ في المشرقِ أسراباً أسرابٍ .

وأريجُ الرمانِ يفوحُ على وجهِ فتاةٍ
لوّحَ في شهوتها المشمشُ
وارتعشَ الطلُّ
فراحت ترقصُ كالغيمةِ فوقِ رؤوسِ
الأشجارِ .
فيم سكوتك يا زريابُ ؟

اعزفْ نغماً مزمارياً يطربُ هذا القلبَ
لترقصَ روحُ العاشقِ
كالكروانِ على رجعِ زغاريدِ المزمارةِ !

خلّ صفائرَ أنثاك ترفرفُ فوقِ جمالِ
الكونِ
شرائطَ أفراحِ

وزرازيراً وطيوراً بعد طيور !

فالفتياتُ نوافيرُ
تتعاشقُ في رقصتها المائيّة
والتفاحُ صدورُ .

ماءٌ أبيضُ ، ماءٌ أزرقُ
ماءٌ يشربُ ماءَ النورِ ..
وأغانينا في سكراتِ الأعراسِ
نواعيرُ تتوقّفُ ثم تدورُ .
أسمعنا عزفاً !
موسيقاك ذراعُ بيضاءُ تهزُّ سريرَ النائِمِ
في فردوسِ أغاني ،
وتلامسُ أقداحِ تتصادى فوق صواني ..
وأغانيكِ نساءً تأخذني بين يديها الدافئتين
وترضعني ماءَ النورِ .
فعناقيدُ تتدلى فوق فمينِ رضيعين
ولوْزٌ يتسلّقُ سورُ .
.. عصفورٌ يتعدّبُ في مزمورٍ !
موسيقاك حبيباتُ المشمشِ
تساقطُ من غصنِ الصبحِ
وحباتُ الخوخِ المجروحِ ..
وسحابةٌ صيفٍ زهراءُ

تردُّ نَسائِمُها الرُّوحُ ..

موسيقاك دموعٌ تنزفُ من قلبِ صديقِ
صُدوقِ !

فيمَ سكوتكَ والأقمارُ على بركِ الشهوةِ
تلعبُ بين أيادينا
لعبَ العاشقِ والمعشوقِ ؟

فيمَ سكوتك يا زريابُ ؟
حنجرةُ العاشقِ عصفورٌ في الشوقِ .
حنجرةُ المرأةِ سكرةٌ ذابت
في ماءِ العنابِ .

فالأجراسُ تدقُّ وزيزانُ الحبِّ تغني في
الوردِ
وريشاتُ النورِ تلوّنُ بالأخضرِ والأزرقِ
والأحمرِ
بستانَ شروقِ ..

والأرواحُ حماماتٌ تتغازلُ نشوى
في الأفقِ الخلابِ .

سامحتُ سكوتكَ بالقلبِ اليائسِ يا زريابُ !

ما شَرَّقَ بالحزن الأترابُ
ولا غَرَّبَ بالشوق الأصحابُ !

ماذا أخذَ الحبُّ من الأحابِ
وماذا خلَّى للعشق الغيَّابُ ؟

لم نفتحْ بابَ القلبِ على القلبِ
ولا بابَ الروحِ على الروحِ
لنقطعَ دربَ العمرِ سكارى
والبابُ على البابِ !

لم نفتحْ غيرَ شبائيكِ الليلِ على الأعرابِ !

لكني الآنَ مليءٌ بالصمتِ الربانيِّ
وحزنِ العودِ
أضُمُّ غناءَ البلبَلِ في غيبوبةِ ساعاتِ اللوزِ
وأغفو كالكَأْسِ على ماءِ السهرِ الظمَّانِ !
يا ربَّ العودِ أنا الآنُ
أسمعُ موسيقيَّ المَهْموسَةِ في نفسي
تتسَقَّقُ بينِ نعاسِ الليلِ
وإغفاءِ روحِ السكرانِ !

فأرى قديسًا يبكي في جوفِ كمان !

يا زريابُ لقد راقَ الليلُ
وشاعَ سكونُ أزرقٍ في الغسقِ السرانيِّ
وراحَ السكرُ يروقُ .
صافٍ عزفكُ في إغفاءةِ روحِ الشاعرِ
صفوانُ .
فأذبني ذوبانَ الغصّةِ في سعداءِ القلبِ
وأسكرني بأغانيكُ
لأسرَحَ فوق جمالِ العالمِ فوق !

أسكرني كي أتمايلَ كالنساكِ
على تعزيمَةِ موسيقاكُ
فأجنحةُ البهجةِ ترقصُ دائرةً
كفراشاتٍ حول سراجِ النومِ
وقلبُ الشاعرِ يرقصُ كالمتصوّفِ
فوق بساتينِ الكرزِ الممشوقِ !

أقدّسُ ساعاتِ الغبطةِ
أن تتراءى في إشراقةِ نورِ
رؤيا الخالقِ للمخلوقِ ..
أجملُ حالاتِ العزلةِ أن نسمعَ في الموسيقى
أصواتَ أحبّتنا الغيابِ .

إعزف نغمًا مزمارياً يا زرياب !
فأنا مغمورٌ بجمالِ سماواتِ الصيفِ
أناغمُ روعي مع روحِ الكونِ
كأني قدّيسُ الدنيا العذراءِ ورائيها ،
وابنُ الإصغاءِ على شباكِ لياليها
وحفيدُ مراتيها حين تدورُ الراحُ
مراحاً بعد مراح .

في الصباح يطهرُ رؤياي شروقُ الشمسِ
وفي الليلِ أطهرُ قلبي بأهلاتِ هلالِ الأفراحِ
.

مجروحاً أتلامسُ مع صوتِ الناي ،
وشفافاً مع تعزيمِةِ موسيقى ..
أتلامسُ مع أنثاي إذا سكرَ الغيتارُ
تلامسَ أقدام .

نتلامسُ بالأعينِ في غيبوبةِ سكرٍ بيضاء
فتسقينني العسلَ الأبيضَ من عينيها
المسكرتين
وأسقيها من عينيِّ لقاحِ التفاح .

ما أحلى أن نتلامس بالأرواح !

أن نتهامس مثل كناريين على زهرة دوار
الفجر ،
كطاووسين عروسيين
يرقان على إطلالة شمسٍ بصبح .

فالليلُ خياليُّ ،
والحزنُ سماويُّ والبهجةُ النشوي
تتطايرُ في جوِّ السهرةِ كالأرواح !
فلماذا أرهفُ سمعي في ساعاتِ الصمتِ
فلا أسمعُ موسيقاكُ
ترخُّمُ في الريحِ حفيفِ الأحابِ ؟
يا زريابَ الساكتِ في صدري
ما بعدَ جراحِ الشاعرِ في العشقِ جراح !
ما من سببٍ للعشقِ ولا أسباب .

كانت نقراتُ العودِ الباكي
تترقرقُ مثل حبيباتِ الأمطارِ على خشبِ
البابِ
فلماذا انقطعَ الصوتُ
وصرنا في العمرِ كباراً
نتأملُ من شباكِ الشيوخِ كالأغرابِ ؟

نتأملُ والأعينُ تغرورقُ بالدمعِ
خريفِ العمرِ الحافي
ورحيلَ الأسرابِ !
سامحتُ غناءكَ بالقلبِ اليائسِ يا زريابُ !



صوت البئر

منذ زمانٍ وأنا أسمعُ في هذا الليلِ العتّينِ ..
رجعَ بكاءٍ أتٍ من جهةِ البئرِ
يناديني إن غنّيتُ
ويستعطفُ قلبي إن صلّيتُ
ولا أسمعُ شيئاً إن أصغيتُ !
فأقولُ لنفسِي الخوّافةِ
يا طالبُ أحدٌ يبكي في البئرِ
ويبكي في البئرِ
ويبكي في بئرِ البيتِ !
قمّ وتطلّع !
لا تخشَ رهابَ الأعماقِ
فما في الأعماقِ سوى الطينِ !

فأقومُ وأهمسُ مرتعباً في القاعِ المظلمِ

يا من يرقدُ في البئر المهجورة رقدةً ميتاً !

ماذا تطلبُ منِّي وأنا الواقفُ
كالحجر الأبيض في بابِ السَّتينِ ؟

فيقولُ الصوتُ :
خذْ بيديَّ إلى الأعلى
اصلبني يا مولاي
ارفعني !!
فالأسفلُ جدُّ حزينٍ ...
جدُّ حزينٍ !
أولا تسمعُ صوتي المستعطفَ
أو صوتي المصلوبُ ؟
فستقتانِ تموتانِ بعينيَّ
وروحي دامعةً ، و تذوبُ

إذ ذلكَ شعرتُ بأنَّ المستعطفَ ليس سوايَ
وأني أتطلُّعُ في نفسي من بئرٍ مقلوبٍ !

فشددتُ يديَّ على ضُمَّةِ قلبي
وصرختُ : بحقِّ دموعك
يا قديسَ البئرِ أجبني
أنا الحيُّ بأعلاك

وأنت بهذي الحفرة ميت ؟

- لستُ أنا في البئر ولكن أنت !
.. قالَ وأغمضَ عينيه على عتمته السوداءِ
فأفز عني الصمتُ !
فصرختُ بصوتٍ مخنوقٍ في جنباتِ
الوحشةِ
يا هذا الرجل الغارق تحت جحيم الجنةِ
من أنت ؟

فأجابَ الصمتُ الميتُ أنا أنت !

أكونُ أنا القابعُ في عتماتِ البئرِ
ونفسي تتطلّعُ في توأمها
ما صدقتُ ولكن (أحد ما)
رغماً عني أجهشَ في قلبي
وبكى .. فبكيتُ

أكونُ حفيدي أم جدِّي
أم أسلافٌ سكنوا بعد غيابتهم عن هذي
الأرضِ
بكائي ؟
وبكيتُ !

رائحة المشمش في الدنيا البيضاء

رُدَّ على السهرة باب الدار !
يتملى العاشق في الليل جمال ينبوع
ويغرق في الأعماق .
تتطلع عاشقة بجمال في الأعمار .

جهجة صبح الليل
وفاحت رائحة المشمش في الدنيا البيضاء
وأشرق بالزهر الدراق ..

والبحر مضاء بالأزرق والأخضر
والموسيقى
يتألق تحت غصون الضوء غديراً
أبدى الدمع لتحديق العشاق .

هبت نسمات عطرة من روح الجنة
فامتلاً الجو فراشات من صدر المرأة

وارتعشت
تحسو قطراتِ السُّكَّرِ من دمعاتِ عيونِ
المشتاقِ .

فتأملُ خمسَ (نوافيرِ) تتوالدُ في هدآتِ
الليلِ
كخمسِ صبيّاتٍ يرقصنَ على إيقاعِ
غنائياتِ الماءِ ..
تأملُ خمسةَ أقمارٍ تلعبُ بالبركِ الزرقاءِ ،
تأملُ سربَ طيورٍ
يدفعُ بالزقزقةِ الشمسَ إلى الإشراقِ !

لكأنَّ (فراديساً) خضراءَ
تضيءُ خيالَ العاشقِ بامرأةٍ قمرَاءَ
تشدُّ غزالَ الصبحِ إلى عرباتِ الليلِ
وتعدو فوق سهولِ المشرقِ بالأشواقِ .

فاغمسُ ريشةَ حزنك في دمعةِ عصفورِ
الليلِ ،
وخطِّ على البرديّةِ سطرينِ من الحزنِ
الصبحيِّ
وصبوةَ ظبيِّ في الأسحارِ !

راق خيالَ العاشقِ بالعشقِ .

ولكن كأس الدمعة ما راق !

ردّ على الوحشة بابَ الدار !

بعدَ المغربِ غنّيتُ حزيناُ
لا رَقَّ لحزني العودُ
ولا رافقَ صوتي الموجعَ ترجيعُ المزمارة !
يا من نمتَ قريرَ العينِ
وخلفتَ بكأسي كلَّ الليلِ فما أسكرني
أولا تُسكرني في الحزنِ جرازُ ؟

يا من سُكركَ ممتزجٌ بعصارةِ قلبك
والخمرةُ تقطرُ من صدرك
كالجمرِ الأبيضِ في قدحي الظمانِ فلا
تدفئني
أفما تدفئُ رُوحِي البرادانةَ أختي النارُ ؟

ردّ البابَ لأعمدَ في غفواتِ العتمةِ قلبي
فالريخُ حناجرُ متوحّشةُ
وجراحُ الجيتاراتِ ترنُّ على كلِّ جدار !

نمتَ قريرَ العينِ وما قرّرتُ رُوحِي
أصرخُ : يا أحبابِ أضيئوا الليلَ

لأركضَ تحت المطرِ الهائلِ مغتبطاً
سكرانُ !

فالكونُ سماويُّ ، للألاءُ
والعتمَةُ شلالُ سوادٍ صافٍ في عينيِّ
وفوقَ سياجِ الغيمِ يحطُّ البجعُ الأبيضُ
كالرهبانِ .

هوذا قلبُ المرأةِ يعدو فوق مروجِ المتعةِ
كالمهرِ
وقلبُ الشاعرِ
يتدحرجُ كالتفاحةِ خلفَ المرأةِ في البستانِ
ما أجملَ ركضَ الطبيِّ وراءَ الطبيعةِ في
البستانِ !

فاحِ شذا الليمونِ الذهبيِّ
وهاجتُ بالشهوةِ رائحةَ المشمشِ
والشجرِ العطريِّ على الشباكِ يفوحُ ريحاناً
ريحانُ !

فلماذا لا تتقرَّبَ روحٌ من روحٍ
ولماذا لا يتفجَّرُ قلبُ الصبحِ شهياً كالرمانِ
؟

وا أسفاهُ على السّمَارِ
غريباً إثرَ أخيه انصرفوا
وتدلّى الصمتُ ثقيلًا كسؤالٍ مشنوقٍ .
عمتِ مساءً يا جازُ ،
يا من يسكنُ فوقَ !
هل تسمعُ صوتي المتألّمَ وهو يصبُّ الزيتَ
على النارِ ؟
.. ما جئتُ المرأةَ من بابِ الشوقِ
إلا ذابتُ في العزلةِ موسيقى الغيتارِ !

ردّ على الوحشةِ بابِ الدارِ !

يا غفوةَ امرأةٍ طافيةِ
كالغيمةِ فوقِ سريرِ العرسِ-
وسارحةِ في النومِ
كساقيةٍ ملأى بزنابقِ سكرى
وحليبِ زهورِ !
يا امرأةً تغفو كالبلبلِ في سلّةِ نورِ !
من أيّ سماءٍ تنزلُ فوقَ محيّاكِ العذبِ
بيوضُ الضوءِ البيضاءً ؟

ما أظلى الغفوةَ بعد رحيقِ الخمرةِ
روحُ راضيةٍ ، وطيوفُ سكرى

وعلى الأهداب ترفرف أزواج (حساسين)
و سنونو
ونسور ..
وعلى خديها الخوخيين يلاعب سنبلة
عصفور ..
وتلامس أهداء أهداء .
يا امرأة فمها وأو
ويداها لامات اللوز
وقامتها ألف من بلور !
رشي ماء الزهر على الفجر
وقومي للرقص على إيقاع نوافير الماء !

كي أبصر هذا الجسد المخلوق من العطش
الإيقاعي
إلى النوم على أمواج بحيرات زرقاء .

يا امرأة ترقص في جمار القلب المحروق !
والقلب من الحسرة والوجد
كمان يتعذب في نغمة شوق !
من أيّ خصور
يتساقط ورد الحزن الأحمر طوقاً طوق ؟
من أيّ عليّ
هبت نسماث شمال الليل رخاءً يا روح
فسال الحزن الأزرق

في جدولِ خمرٍ رِقراقٍ ؟

وأفاقَ العاشقُ يرقصُ مثلَ غزالٍ
رقصَ العاشقِ للمعشوقِ ..
وامتزجت رائحةُ الخمرِ برائحةِ الأمطارِ .

فلماذا ينسابُ هلالُ السكرِ زلالِيَّ اللونِ
وكأسي في خمسينِ العمرِ الغاربِ ما راقٍ
؟

ولماذا يستسلمُ للنومِ جمالُ الكونِ
وشمسُ الخمرةِ تشرقُ رائحةَ الإسكارِ ؟

ولماذا يرتفعُ الشاعرُ منفرداً
كي يرقصَ فوقِ حقولِ القشِّ المحروقِ ؟

ردَّ على الوحشةِ بابَ الدارِ !

يا بوابَ العزلةِ ردَّ البابِ
لقد رحلَ الأصحابُ !

أسمعُ أبواقَ الحزنِ البحَّاءِ
تهبُّ على حقلِ كمنجاتٍ ،

ورياحِ قلوبِ اليتيمِ التكلَى
تتمزّقُ في ألفِ غرابٍ !

... ناديتُ وسبعُ رباباتٍ تتحطّمُ في الصدرِ
فما حملَ القصبُ المّوجعُ بالناياتِ صدايَ
ولا وصلتُ أوتارُ غنائي للأحبابِ !

غابتُ شمسُ الصيفِ
ولاحَ خريفُ الهجرةِ أسراباً أسرابٍ !

يا ليلُ
لقد راقتُ رؤياكَ
وراقَ جمالكَ معكوساً في قدحِ الرمانِ
ورقَ الكاسِ !
بين زهورِ المشمشِ والغسقِ اللوزيّ بكتُ
نفسِي
وسرّتُ من طيبِ العطرِ إلى روعي
أنفاسُ الأسن .

دقّت ساعةُ موتكَ منتصفَ الليلِ
وسالَ سكونُ الكونِ
على سكاتِ الأجراسِ ..
لم يبقَ سوى شباكِ مفتوحِ

لغروبِ البحرِ
ورائحةِ الملحِ الميِّتِ
وقبرِ مفتوحٍ ينفخُ في الريحِ الميِّتِ رائحةَ
الأمطارِ .

كم كانَ جميلاً أن تغرقَ بالذهبِ الوردِيِّ
شبابيكَ الدارَ !
كم كانَ جميلاً أن يتقطَّرَ صمْتُ العاشقِ
شَقَّافاً
كالدمعةِ في عينِ المشتاقِ !

غرقَ المشهدُ في الصمْتِ
وصارَ جمالُ العنمةِ منحوتةً موسيقيً ،
والصمْتُ جمالاً في الأعماقِ



ما زال النهر يتبعني

مترقّقٌ بخريره السكران
يسرّحُ مثل أخذودِ الحليبِ إلى مراضعِ
عذبةِ الغدرانِ
حيثُ تعومُ كالغيماتِ أزهارُ النعومةِ
في المياهِ المشتهاةِ .

يستدرجُ الفتياتِ نحو الاغتسالِ
العذبِ في خلجانهِ البيضاءِ
حيثُ تمرُّ أسرابُ الإوزاتِ الصغيرةِ فوق
صفحتهِ أميراتِ
وترتجلُ العنادلُ بالأغاريدِ الجميلةِ
عرسها المتناغمَ الجوقاتِ .

ويمرُّ كالغيتارِ غريداً يرقرقُ ريقَ الأنعامِ
من قوسِ الأنوثةِ في بساتينِ الضحى
البيضاءِ

حتى شهوة الإثمار في حلقات زهر اللوز
وهي تمدُّ من عقدِ الغصون رؤوسها
كالزنبقات .

بخريه السكران تحت جدائل الأغصان
يسترقُّ الطفولة من سبات التين فوق أمومة
الأكام ،
من عسلٍ تختر في الجذوع كأدمع بيضاء
ثم يفيء من قيظ الظهيرة
فوق عشب الهددات .

ويذوب مثل الثلج تحت أكاسيا بيضاء ،
رائقة الأنوثة
تستهلُّ غصونها الزهرية الحلماث
بالعوم فوق خيالها الشفاف
أو يجري بعيداً حين يسمع زقزقات اللوز
تقطف زهرها المبيض
صغرى العاشقات .

هو كالغدير .. رضيع ماء العشق
يسمُّ كالضربير تلاقح الأزهار في
الأسحار ،
والشهوات تهطل من ثلوج اللوز
فوق بياضه الصبحي

يسمغُ زهرةَ الكرزِ الصغيرةَ في تفتحها
الحميم
فِيستطاب له الآسى
ويرقُّ رجغُ الزقزقاتِ .

لكأنه مجرى زهور الشمس
في الصبحية البيضاء
تلتمُ الطفولةُ حوله
لتعومَ كالينبوع فوق ملامس الأمواج
والنسماتُ تكشفُ صدرها الريانَ
فوق شفاهه كالمرضعاتِ !

ويذوبُ كالزهر الرضيعِ
إذا تلامستِ الكؤوسُ على الصدورِ
ولوَّحَ القمرُ المكورُ مثل حبة برتقال
في غلالةِ أغنياتِ !

ما زالَ ذاكَ النهْرُ يتبعني
وأتبغُ صوته في وهدة الوديانِ
وهو يجولُ في ضوءِ المغاربِ
مثل رتلٍ من دموعِ الأمهاتِ

في البدءِ كنتُ أراهُ سرباً من (أباريقِ)

تزرُقُ في طريقِ الحقلِ
ثم عرفته مغروراً بدموعه
مثل الغريبِ أواخرَ أمسياتِ الصيفِ
يرحلُ ضائعاً في آخرِ الأمطارِ .

جارِ كريحانِ الطفولةِ خلفِ سورِ الدارِ
كانَ ..
وكانتِ الغيماتُ تمرُقُ في المساءِ
غضيبضةَ الدمعاتِ
ثم تغطُّ فوقِ ضفافه
لتنامَ من تعبِ ككشَّةِ قَبَرَاتِ .

تتناوُمُ الأشجارُ راحلةً على أكتافهِ عند
الغروبِ
كأنَّها سفنُ النساءِ الناكلاتِ
وقد فقدنَ رجالهنَّ بزهرَةِ الأعمارِ !

لم تعطنا الأنهارُ إلا ما يعمِّدنا بأمطارِ
الحنينِ
إلى أنوثةِ عمرنا الأولى
فنخلدُ متعيينَ إلى ضفافِ مصيرنا
في عهدةِ الأشجارِ .

لجماله مرأى شروقِ الشمسِ

في غيبوبة الغدران
... أكثر شهوة من ممشاتِ الصبح في
كفّ العروس
ومن كسوفِ الضوء تحت النهج ..
مغتباً بلونِ الحمرة الشفافِ
لا يُروى له كأسٌ
ويجري دائماً ظمآن .

النهرُ نحن الزارعونَ غراسنا
كالحور في طرق الحنين
وكلما ابتعدتُ بنا شمسُ الكهولةِ
تستحيلُ إلى نداءاتِ
يطيرها الخريفُ مع العشيّةِ
مثل أخيلةِ الدخانِ

واليوم في الخمسين من ترحالي الموهوم
بحثاً عن زوراق رحلتها الريحُ
في طرق الحدا
ما زالَ ذاكَ النهرُ يجري خلف حزني
دامعاً
مثل الحصانِ .

>

قمر التفاح

تحتَ سماءٍ من لبنٍ بيضاء
طلعَ القمرُ المولودُ
كظبيٍ أشهبَ في الليلِ
وطافَ كطيرٍ ظمانَ
على نبعةٍ ماءٍ .

طافَ يفتشُ في بستانِ المطرِ الأزرقِ
عن نهدِ فطمتةِ الشمسِ
كقرصِ الشهدِ
وبينَ نساءِ الغيمِ الورديةِ
عن مرضعةٍ طافحةِ الأثداءِ .

لكنْ لم يبصرْ في قصرِ الليلِ العاليِ
غيرَ غيومٍ تتلاشى في شكلِ ظباءِ

لا مرتع غزلانٍ لآخ لعينيه
ولا أسراب طيورٍ سابحةٍ في الأسحارِ
ولا جمع إوزاتٍ
تسبحُ في بركةٍ ماءٍ .

فبكى بدموعٍ ساخنةٍ فوقَ جمالِ الأرضِ
بكى ..
حتى بدأ الضوءُ الرائقُ يتحلَّبُ من عينيه
كنورِ الفضةِ
في أريافِ الحزنِ الزرقاءِ .
لم يجدِ المرأةَ في غيبوبتهِ الليليةِ
كي يرضعَ رضعاتٍ سبعٍ ،
ويشَبَّ عن الطوقِ
ولا النهرَ ليشربَ كأسَ حليبٍ
ويتابعَ رحلتهُ الأبديةَ
بل ظلَّ وحيداً يعرجُ (عرياناً)
كالذئبِ الضائعِ في الظلماءِ !

لكن حينَ تفجَّرَ قلبُ الصبحِ جميلاً
كالمصباحِ ..
كوَرَ طلعتُهُ قنديلاً
ورماها في حقلِ التفاحِ .

>

سهرية ينبوع

في هذا الفجر المترقّق بين نوافير الغدران
وهلال الأسحار يضيء بياض الأبدية..
والعصفور يثقب بالزقزقة الزرقاء دماغ
السكران
كنت على الضقة أسهر سهرية ينبوع بين
الحجل الشارد والغزلان
وأغزل في الأجواء البيضاء سحابات
الصيف الذهبية!
أغراني المعزف في سكرة موسيقى صافية
العشق
فشرعت جناحي أزقزق فوق الكرمة
كالكروان ..
والنعمات المنطوقة بالنايات
تهينم بالشوق على الأسماع
فتلتد لها رقرقة الأوتار ، وددنة الغيتارات
..

غَنِيَتْ بِصوتِ البلبِلِ بينِ ثمانِي صفصافاتِ
!

غَنِيَتْ أَخْلَقُ منِ الطافِ الطيرِ نساءً قديساتِ

..

فتصيرُ العصفورةُ أغنيةً ،
والشحرورةُ راهبةً ، وإوزاتُ النبعِ
صبيّاتِ .

ويصيرُ كناريُّ السهرةِ تغريدةً غيتارِ فوقِ
غصونِ اللوزياتِ

كانَ الهدهُدُ يرسلُ عبرِ جناجرنا

الغنّاءِ صداهُ الناعمَ

والبعجاتُ ترفرفُ تحتِ سماءِ النهرِ مناديلِ
حريريه!

والعشاقُ يرشّونَ صباياَ العشقِ بماءِ الوردِ
،

ودمعاتِ الكرزِ الرمانيهِ ..

فتحلُّ غدائرها امرأةٌ وتغني متطلعةً للأعلى
بالصوتِ الحلقِيِّ المُشبعِ باللوعةِ والغنّاتِ
!

وهناكَ حلّتْ عن شهوتها للرقصِ خمارِ
الوجهِ قِطاةً

فانسكبَ الشعرُ الأشقرُ كالشلالِ على جسدِ
مشتعلٍ كالشمعةِ

يرقصُ رقصَ الغيمةِ في صبواتِ صبيّه !

والأرواحُ يماماتُ تتعاشقُ بالتحليق
الإنشاديِّ الراقصِ
فوق سحابةٍ أنغامٍ و غناءٍ رقرقاً
وأيدينا ترقصُ حولَ جمالِ المرأةِ
كالبجعاتُ !
أغنيةٌ بجميلِ الصوتِ
ترقصُ قلباً طفلاً بين قطاتين
فتهتزُّ قلوبُ الصبيةِ مثلَ حبيباتِ الدراقِ !
وصغيراتُ الطيرِ يزقزقنَ زغاليلَ
على أعشاشِ المشمشِ والشهواتِ النهديَّةِ
يا للمشهدِ
ليلٌ مغسولٌ بضياءِ القمرِ الوردِيِّ يذوبُ
وأجسادُ راقصةٌ بأنوثتها البيضاءِ
تحلِّقُ فوق جمالِ الإيقاعاتِ بنشوةٍ سكرِ
صوفيَّةِ
هتفُ الهدهدُ يا دنيا الليلِ اتسعي للعاشقِ
إنَّ الروحَ الظمأى لتحنُّ إلى المشرقِ
والنورُ يجهجه رياناً في الأفاقِ !
فالحزنُ يجفُّ ماءَ القلبِ
وقلبي لمطالعكِ الأندلسيَّةِ مشتاقٌ مشتاقٌ !
وارتفعتُ أزواجُ طواويسٍ تتقرُّ شباكِ
الشمسِ لتصحو
وترفرفُ بالأجنحةِ الزاهيةِ الألوانِ
فينتشرُ الضوءُ جميلاً ، زهريَّ الإشرافِ !

فرأينا في صدر النهر جناح الصبح المشرع
يطلع طلعة طير الحزن الملكي على حقل
شقائنا نعمان .

وسمنا الماء الأزرق رقراقاً بخير
سكران .

في هذا الفجر الطالع كالتفاحة من رحم
البيستان

وزغليل الماء تسسق بين غصون
المشمس سقسقة الصبية

سرحت عيوني في الأفق الخلاب
فأبصرت نساء

يرغين الصابون على جسد غض
ويسرحن الضحكات مع الماء كرات من
تفاح

والنسمات تعزم في الأغصان تعازيم حفيف
وتهينم في خدر فواخ

كنت أسير بقلب مفتوح فوق طريق الخوخ
وأملأ صدري بأريج زهور الجنة من
أس ورياحين وأجاس أقاخ !

فرايت الأطيوار ترقز أنصاف سكارى
وتحلق تحت جمال الغيمات بأجحة إيقاعيه
!

يا صوت الشاعر ارفع نحو جمال المطلع
صحتك الصلابة !

وتَغَنِّي مذهباً بالهولاً بالصوتِ الطَّيِّبِ : يا
مطرات !
فسماؤك متربعة بالفرح البحريِّ
يكورها النورُ الكروانيُّ كطرحه عرسٍ ،
وخيالُ السحبِ الزرقاءِ يسافرُ فوق سواقي
الصيفِ الورديةِ ..
ويعومُ على المشهدِ طياتٍ .. طياتٍ
إنَّ الروحَ عروسُ الصبحِ
وهذا الضوءُ سريرُ زفافٍ
وثلاثةُ أصواتٍ ترفعُ زغردتها النهونديَّةَ
فوق الشجرِ العطريِّ فتعبقُ في الجوّ
روائحها الريحانيَّةَ
إني أمنحُ هذي المرئياتِ عيوني
وأهيم كطيرٍ فوق جمالِ المرتفعاتِ .



قلب العاشق مثقوب كالمزمار

بوركتَ حزيناَ يا قمرَ الدارِ !
خمسُ كمنجاتٍ ٍ تتألمُ في صدري
والموسيقى ترحلُ أبعدَ .. أبعدَ
في الغيتارِ !

بوركتَ
وأنتِ تلاعبُ في بركِ الليلِ جمالَ السهراتِ
!
مغتسلينَ بماءِ الحنّاءِ
أضأنا شمعَ العرسِ
ورحنا نرقصُ رقصَ الهددِ بين إوزاتِ
وقطياتِ .
طارت روحُ العاشقِ كالهددِ في
الكونشيرتو
وتهادتُ روحُ المرأةِ سارحةً في الغيبوبةِ
كالغيماثِ

وعلى نغمات الكونشيرتو
تتقاربُ أرواحُ نشوى من أَلطافِ توائمها
الأرواحِ..
تتزاوَجُ أصواتُ الأجراسِ بأصداءِ الكاساتِ
السكرى
ويجلُّ عن الوصفِ جمالُ السهرةِ في
الإقمارِ !
وعلى سبعةِ أبوابِ الجنَّةِ
طارَتْ كلُّ أغانينا البيضاءِ على شكلِ
حماماتٍ !
لبسَ الليلُ قميصَ السهرِ الأبيضَ
والرؤيا راقت للرائي
والتذُّ السامعُ للنغماتِ
والمطرُ المنعشُ عطرنا بالنشوةِ
فانتشرت في السهرةِ رائحةُ العطرياتِ !

ما أعذبَ أن يأسرَ قلبك صوتُ البلبلِ أو
ينعشَ روحك كالخمرةِ عطرُ الوردياتِ !
هرَّتْ أزهارُ الصفصافِ مع الريحِ الزرقاءِ
فصارتُ كالخمارةِ سهرتُنا عابقةً بأريجِ
المطرياتِ !

لكني أقفُ اليومَ وحيداً ویتيماً تحت رخيخِ
الأمطارِ..

أبكي ، ودموعي تترقرقُ فوق المعزفِ
كالجمراتُ !

ما عادَ العشاقُ يغنونَ على نغمةِ
(سهرانُ) تحتَ ضياءِ الجنةِ ،
والفتياتُ البيضاواتُ يرقصنَ الروحَ
على موسيقى الأقداحِ !
ما عادتُ تتساقطُ فوق كؤوسِ السهرانيينِ
كراتُ التفاحِ !
ما عادتُ إلا راحة راهبِ ليلِ
تمتدُّ فلا تمسكُ راحُ !
لا تمسكُ غيرَ الشوكِ الجراحِ !

رحلَ الأصحابُ وخلّوا أزهارَ الخوخِ
تهرهُرُ فوقَ كراسيهم
وينزُ نزيزَ الجرحِ دمُ التفاحِ ..

رحلَ الصيفُ سريعاً يا صاحُ !

وامتدّت من بابي المهجورِ
إلى شمسِ المغربِ سجّادةُ نسكٍ وصلاةٍ ..

فسجدتُ على صدرِ الأرضِ لأسمعَ بالقلبِ
سكوتَ
صديقِ ماتٍ !
فوجدتُ ترابَ الأرضِ
مليئاً بالأرواحِ .

آه يا صاح !

حلّتْ ساعاتُ المغربِ مرهقةً
وامتلأتْ بروائحِ حزني أرجاءُ الدارِ !
لكأنَّ قلوباً بالغةَ اليأسِ تعودُ إلى وحدتها
وتغوصُ عميقاً في الأبارِ ..
لتصيرَ ظلاماً أو أنفاساً أو هباتِ رياحِ !
بوركتَ حزيناً يا قمرَ الدارِ !

يا امرأةً غنّتْ ذاتَ ربيعِ أندلسيِّ
عذراءَ الصوتِ بموسيقى مسكرةِ النغماتِ
!
فسمعتُ على مجرى الماءِ الصافي لحنَ
الجنةِ
وهو يسقسقُ كالموجاتِ
وسمعتُ تساقطَ حباتِ اللوزِ على ساقيةِ
ملأى بالدمعاتِ .
وغفوتُ .. غفوتُ كطفلٍ مفقودٍ الأبوين

على تنغيمه ماء .

بين زهور المشمش والذنيا البيضاء
صفت ساعات اللوز
وسال غناء البلبل في نغمات غناء !

ما أحلى صوتك وهو يسقسق ثلجي
الأجراس على بركة صبح
فيطير ست قطيات ، وحساسين غناء !
صوتك في الصبح الطاهر يجرخ رقّة
روحي

ويحيل غصيصة الروح إلى نسمات !
صوتك ما يجعل تفاحات العاشق
تساقط في بركة ماء
فأطيلي الصوت لترقص روحانا كجناحين
على أغنية

ويرفرق فوق جمال النبعة عصفوران ،
أطيلي الصوت فقلب العاشق
مثقوب كالمزمار !
وأطيلي صوتك فوق مطل الليل
ليطلع قديساً مجروحاً قمر الدار !
فلقد صرنا رهباناً في العشق
ولم ندر لماذا يرتحل السكر وحيداً في
الأسحار ..

ولماذا تغتسلُ المرأةُ عاريةً تحت جمالِ
الإقمارِ !

بوركتَ حزيناُ يا قمرَ الدارِ !

بوركتَ وأنتَ تطالعُ دنياكَ موشحةً باللونِ
الكلبيِّ
كناقوسِ القدّاسِ !

وتذوبُ نعاساً أبيضَ فوقِ جفونِ الناسِ .
يتلألُ ماءُ النهرِ قبالةَ ناظرِكَ الظمانِ زلالاً
,

وتسيلُ خصائلهُ الذهبيّةُ أغراساً أغراسِ
راقَ ضياؤكَ معكوساً كالصورةِ في الماءِ
الفضيِّ
وشفّ زجاجُ الكاسِ .

يا لجمالِ العزلةِ !
معتلّ الصوتِ أغني
تحت سماءٍ من أغراسِ

تتساقطُ في أحلامي الورديةِ حباتُ الثلجِ
ويهجرُ قلبي الناسُ .

ما أجملَ أن تترقرقَ

روح المطر الطاهر فوق البرك المجروحة
كالأجراس!
فاسق الشاعر كأساً مقطوفاً من فوران النبع
ورغوته الشقراء
فقد سكت الإنشاد وطال الصمت الموجد
طال !

لكني اليوم وقد بللني مطر المغرب
أجلس في باب الخمسين جريحاً
أتطلع باكي الروح إلى الغيمات المرضعة
الصفراء
تهاجر آخر أيام الصيف شمال الأرض
شمال

يا رجلاً في أيلول العمر الغارب
يلقي للنار البرادنة أوراق المأل !

قم نمش سكارى من منبلج الشمس إلى
مغربها
ونهيم على أنفسنا في التجوال !

فأنا كالناسك لا أجلس بين الناس
ولكني أمشي كخيالٍ أعمى بين ظلال
وظلال !

أسمع صوت امرأةٍ سارحةٍ بكمانٍ أنوثتها
الأبيض
في لحن هزازٍ ،
وأرى قوساً قزحياً يتلامع أخضرَ في
الأمطار .

فالبحرُ الرائقُ عند المغربِ يغري بالإبحار
..

وغروبُ الشمسِ جريحُ الدمعةِ في العينينُ

بوركتَ حزيناُ يا قمرَ القديسينُ !
بوركتَ وأنت تضيءُ كنائسَ هذا الكونِ
بصلبانٍ ونواقيسُ

تعبتِ شمسُ العمرِ فأويثُ إلى كوشي
أتأملُ ليلى ذا اللونِ العنّينُ

وأقطرُ من دمي قطراتٍ في طاسِ الليلِ
لأشعلَ قطرةً ضوءٍ فالضوءُ أنيسُ

وبكيثُ وحيداً في لحظةٍ تقديسُ !

ما في كفيّ سوى سكينٍ دامٍ ..
وغرابُ حياتي الأسودُ منحوتٌ كاللعةِ في
قبضةِ طينٍ

وجهُ صديقٍ معكوسٌ في كأسِ البلّوري
بكاني
فذرقتُ الدمعَ على السكينِ !

.. و بكيثُ على صخرةِ بابِ البيتِ .. بكيث
غريباً سكرانٌ حزينٌ !
كعجوزٍ يتشمّسُ من ثلجِ الستينِ .
أقولُ وداعاً
لحواكيرِ الحنطةِ في الصيفِ ،
لغدرانِ الماءِ الفوّارةِ بالخمرةِ
للريحِ تذوّبُ حفيفاً بين شفاهِ القصباتِ ؟
لامرأةٍ تمشي بجمالِ القديساتِ ؟

أقولُ وداعاً للسحبِ الناعمةِ الأهدابِ
تحلقُ جوقاتِ جوقاتِ ؟

أقولُ وداعاً لصباحاتِ الأرضِ
المرفوعةِ
كالأغنيّةِ فوق كمنجاتِ الأشجارِ ؟

يا قمرَ العشق
طويلٌ في القلبِ بكاءُ المزماز !
وطويلاً سيظلُّ المطرُ اليائسُ ينقرُ بابَ
الدارِ .

شخص ميت

في كلِّ ظلامٍ
يتقدّمُ مني مصلوباً فوق عذاباتِ الليلِ غلامٌ
في كلِّ ظلامٍ
حين تدقُّ الساعةُ منتصفَ الليلِ
وتهجّعُ نفسُ الشاعرِ في سكناتِ الأحلامِ
أسمعُ صوتاً منفرداً يبكي في العتمةِ ،
ويصيحُ أخاه !
صوتاً مجروحِ الغصّةِ ، أسيانَ
ولكن لا أعرفُ صاحبهُ
أو أتبيّنُ مأتاه .
يرجوني بالحسرةِ والأثّةِ :

يا أبتاه أنا طفلٌ نحيبك ، وصنيعه حزنك
وجبلتُ عينيكِ الدامعتين !
الجنني في الليلِ كفرح حمامٍ بردانٍ إلى
صدرك
كي أبرأ من هذا الندمِ العنين !
.. أتطلعُ في عينيه
فلا أبصرُ غيرَ دموعٍ تنزفُ من جرحين
ضريرين !
فأقولُ اتركني في ميتمِ هذا الليل
أدوّنُ مرثيةً نفسي المشفوعة بالدمع ،
وأرفو بخيوطِ الظلمةِ رؤيائي !
فتألم : مولاي
تأملُ في أسبابِ أسائي !
لا تتركني أضربُ في الطرقاتِ المهجوره
'
وأحدقُ كالمسؤولِ في كفي الخاويتين !
منذ زمانٍ وأنا أتجولُ في الليلِ كأعمى
وعلى كتفي يحطّان بصمتٍ
كيتيمين من الوحشةِ حزنائي !
... ..
هبطُ الدمعُ على عينيَّ
فلم أبصرُ غيرَ غشاوةٍ ظلّ
يتجولُ في عتماتِ البيتِ .
قلتُ وصدري قبرٌ ليتامى الحزن

وبيتي معتزلُ المكسورينَ
ولكن من أيّ ظلامٍ في الليلِ أتيتُ ؟
: كنتُ أطوّفُ في أجواءِ العتمةِ بحثاً عن
قلبٍ يُؤيني
أو صوتٍ يعرفني أو ريحٍ تبكي
فسمعتُ غناءً ينبعُ من بيتكُ أسيانَ
ويكسرُ كأسَ الصمتِ ..
فقعدتُ ببابكُ كي أسمعَ هذا اللحنَ الميثُ !
وبكيتُ !
في كلِّ ظلامٍ
يتقدّمُ مني شخصٌ ميثُ



سأحمل ريحي على كتفي

سعيداً سعيداً
سأتبع غزولة الغيم
حتى حدود الأناشيد ...
أركض كالنهر من فرحي
وأقوس من شهوتي قزحي ،
وأرش على الشمس ماء
البنفسج والبيلسان .

سعيداً سعيداً
سألبس ثوب الرعاة
لأحمل ريحي على كتفي
وأتابع رائحة الصيف حتى حدود الينابيع ..
مثلي مثل المسافر
لا بيت لي أو مكان .

نحياً .. نحياً
كنبرة ناي
على قصبٍ صامتٍ في الغروبِ
أشدُّ شعاعاً من الدمعِ
ما بينَ قلبينِ مكتئبينِ
وأجلسُ كالمتملِّ في شرفة
عاليه .

صغيراً .. صغيراً
سأسمعُ صوتَ العصافيرِ في الفجرِ ..
تشربُ كوزَ النبيذِ ، وتلتقطُ العنبَ العذبَ
من ناهدي داليه .

وحيداً وحيداً
سأفتحُ نافذةَ الصبحِ للنورِ
كي تتدلى السفرجلةُ الذهبيةُ
من شجراتِ الظلامِ
وتتعشَّ بالضوءِ
جسمَ الحدِّ .

وحيداً .. وحيداً
سأشربُ شمبانياً في الخريفِ
الأخيرِ

وأغلقُ بابَ الشتاءِ
على وحشةٍ لا تحدُّ .

حزيناً .. حزيناً
سأسهرُ بينِ إناثِ الكمنجاتِ
تصمتُ واحدةٌ
فتتابعُ أخرى بكاءَ اختها
في التقاسيمِ
إني أنا اللحنُ منتحياً في الأغاني
ورجعُ مواويله المبتعدُ .



مزراب المطر

رقرق صوتك في أعماق الشاعر يا مزراب
!

واشتعلي تحت لذائذ هذا المطر الناعم ياناز

فالحبُّ اليائسُ يملأ صمتَ الدارِ ،
والخمرةُ باردةٌ تتكسّرُ منها الأكوابُ !

وتمائيلُ الليلِ المكسورةُ
تحملُ جنّةَ عمرٍ ضاعَ
وتمشي في الحاراتِ المقفلةِ الأبوابُ .

وطويلاً سيدومُ ..
وطويلاً سيطولُ هطولُ الثلجِ
ويمسحُ بالأبيضِ أبوابَ الناسِ النّومِ باباً
بابُ !

فالقمرُ الضائعُ أغمَدَ دمعتهُ
في غيبوبةٍ غيمِ الليلِ وغابُ

والمصباحُ ضريراً يتلامعُ من شبّاكِ الدارِ
!

وأنا مغمورٌ بيتامةٍ رجعِ الريحِ الحادي
ومرارةٍ صوتِ الأمطارِ !

مستلقٍ كرضيعٍ تحتِ حليبِ الغيمةِ
أنهلُ ماءَ الحزنِ الشفافِ
وأسقطُ في غيبوبةٍ سكرانٍ !

لكأنَّ فَمَ الأرضِ العطشى
يتلقَّفُ ثدييَ المطرِ الظمآنِ .

فتمطرُ
وتموسقُ صرفاً في إبريقِ الليلِ الأزرقِ !
واملاً كأسَ الشاعرِ بالزبدِ الأبيضِ
ممزوجاً بخضابِ الشمسِ وربِّ الرمانِ !

كي يتشوّقَ كالنافورةِ نحو فراديسِ الأفقِ
المطلقِ .

وترقرق بالصوتِ الأسيانِ
على أسمع اليائسِ يا مزاب !

ليغوصَ عميقاً في عينِ النبعِ
ويصغي لخريفِ الدمعةِ في الغدرانِ .

فالبكوةُ في الروحِ تهزُّ الروحَ
وطعمُ الماءِ المالحِ في كلِّ شرابِ !

أسمعُ صوتَ البحرِ يغمُّ كئيباً
وتهبُّ عليَّ كرائحةُ الوحشةِ
من قبرٍ مفتوحٍ رائحةُ الندمِ الحارِ .

أسمعُ أبواقَ الليلِ البحاءِ
تشيعُ ذكرى مبيتهِ
وأنينُ الغيمِ النائحِ يُسمعُ من ظلماتِ الأبارِ !

يا دارِ !
ما من سببٍ للحزنِ
وليسَ لحزنِ اليائسِ من أسبابِ !

صوتُ دموعك في الكأسِ حزينٌ يا مزاب
!

صوتٌ يتساقطُ سكرانَ على كأسِ الغصّاتِ
'
وظمانَ على كأسِ المرثياتِ
ومن عينيّ تسيحُ على نفسي العبراتُ !

صوتٌ تتساقاهُ مرآثي امرأةٍ
حانيةٍ بالصدرِ المرضعِ
فوقَ ضريحِ صغيرِ ماتٍ !
صوتٌ دموعكُ تنويمُةٌ موسيقى
تتهدهدُ باكيةً الروحَ على مهدِ عزيزِ غابٍ !
صوتكُ نفسٌ سكرى ذابتُ في ماءِ سحابٍ
...

وجراحُ (مزاميرِ) تتألمُ في عشرةٍ أوتارٍ !
فترقرقُ يا مطرَ الليلِ غزيراً في المزرابِ
!

واهتزّي بالأعشاشِ المجروحةِ يا ريحُ على
الأشجارِ !
إن شتاءاتٍ راجعةً الحزنِ
ستبكي بحفيفٍ مرٍّ في ليلِ الدارِ !

ورياح خريفٍ غادرةٌ
ستهبُّ على روحك مشهرةً الأنياب .

فالذكرى طيرٌ مدَّ جناحيه المهزومين وطارُ

وتمائيلُ العزلةِ جائمةٌ
كالأيتامِ على الأبوابِ !

يامزrab الشاعر
دورُ ماءك في نهرٍ حولَ الدارِ !..

كي نغسلَ في مجراه مراييلَ
لبسناها في مقتبلِ العمرِ
وحين كبرنا
ألفيناها قمصانَ رثاءِ !

سلسلُ ماءك في ساقيةِ زرقاءِ
لنسقي أعيننا بمسراتِ الرؤيا ،
ونعزي الأرواحَ
لتسبحَ كالأطيَّارِ بمرآةِ الماءِ !
واهطلُ كالشلالِ على حجرِ الطاحونِ
لنطحنَ حزنَ الروحِ العنَّينِ !

إهطلُ بدموعِ بيضاءِ على صدرِ الشاعرِ

كي يتمعج كالوددة فوق شفاه الطين !

فالشاعرُ يصعدُ للأفقِ الماطرِ كالمصلوبِ
ضعيفاً وحزيناً !

وأنا الواقفُ تحتِ المطرِ الداشرِ كالقديسِ
أبلى قمصاني من فيضِ مآقيك
وأرقى مرقى المصلوبين !

لأرى حزنَ العالمِ مرفوعاً كالدمعةِ
فوق أيادي القديسين !

يا مزراباً أروضعناه مرأثينا
أوتعرفُ كيف تصيرُ الغيمةُ أمماً
تقطرُ فوق مسامعنا أصواتَ الأمواتِ ؟

أوتعرفُ كيف تذوبُ النفسُ الأسيانةُ في ماءِ
الصلواتِ ؟

ولماذا نغرقُ شيئاً .. شيئاً
كالفكرِ الشائخِ في أعماقِ كتابِ ؟

صوتُ دموعك في الكأسِ حزينُ
وحزينُ صوتُ دموعك يا ميزابُ !

نهريه ليل رقراق

دع كأسى صافيةً يا ساقى ..
دع نفسى سارحةً في قمرية ليل رقراق !

فالأزهارُ تهرهرو
والماءُ يثغثغُ في الينبوع
ورائحةُ المشمشِ في كلِّ الدارِ
ترقُّ لها نفحاتُ الشوقِ السكرى
وتباريحُ المشتاقِ .

وبحيراتُ الشاعرِ رائقةُ الدمعِ
تفورُ بخمرتها الوردية في لونِ
الدراقِ .
شفَّ حليبُ الليلِ بحلمِ السهرانِ
وشققشَقَ نورُ القمرِ المرضعِ
من مشرقهِ العاشقِ بالإشراقِ ..

فتلألأ لونُ البحرِ الأخضرِ
مثل سهولِ القمحِ
وراحَ عريسُ الليلِ المقمرُ
يحصدُ في الأعراسِ المائيّةِ
أغماراً ذهبيّةً .

فاجلسْ بجوارِ النافورةِ
واسمَعْ شحورَ الماءِ
يرقرقُ شلالاً من أنعامِ الحورِ ،
وصوتَ الغيتاراتِ المتدفّقةِ
عبرَ الأوتارِ النهريّةِ !

وتطلّعْ لهلالِ الحزنِ الزاهدِ
كيفَ يذوبُ دموعاً
تحتَ سماءِ الليلِ المزهرةِ الزهريّةِ !

درّبتُ كناريّ الفجرِ على ترجيعِ الأشعارِ
وها هوَ يملأُ بالصفراءِ الزرقاءِ
فضاءَ الأمسيّةِ ..

ويخلّقُ بالصدحاتِ نوافيرَ غناءِ
وسواقِي .

* * *

دع كآسي صافيةً يا ساقِي ..
وحدوسي شاردةً كشراع أبيضٍ
في سهريّةٍ حزنٍ وسرورٍ !

دعني أسبحُ في نافورةٍ حزنٍ أزرقٍ كالبلورِ
!

فأنا قديسُ غروبِ الشمسِ الزاهدُ
في عزلةٍ موسيقى
والجالسُ كالصوتِ الصامتِ
قرب كمانٍ مكسورٍ !
أتطلّعُ في بيضيّةٍ ساقيةٍ بيضاءِ
فأبصرُ صورةَ نفسي
ترضعُ ثدي امرأةٍ الماءِ ،
وروحِي ذائبةٌ كالغيمةِ في مطرةٍ نورٍ

يا ساقِي ..
ما أجملَ أن تبكي غربةً روحك
قربَ نهيرٍ يجري بخيرٍ مسرورٍ !
فالغيماتُ تذكرني بضماداتِ الحزنِ
البيضاءِ

وصوتُ الريحِ المجرُوحِ
بأجراسِ شتاءاتِ سوداءِ
ومرأى البحرِ ببيتِ الأملِ المكسورِ !

ويذكرني بالناسِ الرحلِ في الليلِ
عينُ الناعورِ !
فانقرُ بأصابعكِ المشتاقَةِ
فوق الخشبِ اليابسِ
كي نسمعَ صوتَ الغيتارةِ – أختِ الكروانِ
وبنتِ أخِ الحسونِ _ !

فالغيتارةُ ترضعُ سامعها
ماءً أبيضَ
حتى تتطايرَ في الجوّ العاشقِ نشوتهُ
كفقاعةِ الصابونِ !
وخيالُ الشاعرِ طوّافٌ إثرَ جمالِ
الصورةِ من غصنِ اللوزِ
إلى غصنِ الليمونِ
والغيتارةُ تجعلُ ماءَ الليلِ على شبّاكِي
يتنزّلُ في مطرٍ محزونٍ وحنونٍ !
فاجلسُ قربي يا قدّيسَ الليلِ
لنسهَرَ سكرانينَ
ونصغي بقلوبِ دافئةِ الحزنِ

إلى صوتِ الحسونِ !
حسونٌ يتعلّقُ قلبي
حسونٌ يتعلّقُ قلبك
والحسونُ أخُ الحسونِ !

فالطقسُ حليبيُّ ، شفافُ اللونِ
ومازالَ يهدهُدُ رُوحِي صوتُ النهرِ
وتأتي الرِيحُ معطّرةً بعبيرِ الطيِّونِ !

وجمالُ الموسيقى أن تنزلَ كالدلو
إلى بئرِ الصمتِ وتصغي لهدوءِ الأعماقِ .

دع كأسِي صافيةً يا ساقِي
ودموعِي جاريةً في نهريّةِ ليلِ رِقراقِ !



كم مرّ مني على هذه الأرض

كأني لا أعرف الوقت
كم صارت الساعة الآن ،
في أيّ يومٍ من العمر نحنُ ننتيه ؟
وماذا فعلنا لتذهب أيامنا ونشيخ
ويعبرَ ماضٍ سكتناه يوماً
ولكننا لا نعيه ؟
وفي أيّ ليلٍ يخاتله الموتُ
تقفو العقاربُ وقتاً مهيضاً
وترجعُ دقائقها القهقرى ؟
كأنّ الذي عشته لم يكن
غير عزفٍ طويلٍ على الناي
يأتي ويذهبُ في جنباتِ القرى !
سلاماً بعدَ هذا المشيبِ
لكلّ العيونِ التي أبصرتني

وأغمضها الموتُ
للأمسياتِ التي تدلَّهُمُ على الروحِ
- روحِ الفقيرِ -
لجدِّي الذي قدرَ ما وهبَ الأرضَ
من راحتِهِ
بلا سِوَاةٍ قَمَحُهَا قَتْلَهُ ..
لصفافَةٍ كلما طاشتِ الرِيحُ بينِ الحواكيرِ
مذعورَةً
خبَّأتني بأغصانها المسدله ..
للحماماتِ فوقِ سطوحِ الطفولةِ
مدبرة .. مقبله
سلاماً لكلِّ الدموعِ التي ذرفتِها
على البعدِ عاشقَةً
كنتِ أحببتِها ذاتِ صيفٍ !
وظلَّتِ مواعيدنا على شاطئِ العمرِ
مضروبة
منذِ عشرينَ عاماً و(نَيْفُ)
مضى أجملُ الأصدقاءِ وغابوا
ولم يتركوا من مواويلهم في الليالي
غيرَ صمتٍ بعيدٍ ،
ومن طيِّباتِ ملامحهم
غيرِ طيفٍ !
فكيفَ مضوا قبلَ أن ينقضيَ العمرُ

كيف ؟
وكم مرّ مني على هذه الأرض
كم مرّ من شجني وأنا نائمٌ فوق أنقاضها
كالضريح ؟
وما زلتُ أشهقُ تحت هدير العواصفِ في
الليلِ ،
أشربُ ما يقطرُ الدمعُ من مطرٍ شاحبٍ
و أصيخُ :
أريدُ دمي صافياً كحليبِ الطفولةِ
والفتياتِ اللواتي زرعنَ ضفائرهنَّ الحزينةَ
في حقلِ ريحٍ !
وعدنَ ليحصدنَ قمحَ القرى المرّ
من وحشتي وهشيمي !
أريدُ الصغيرَ الذي كان يوماً كليمي !
لأشربَ من لونِ عينيه ماءَ الحياةِ
الذي شخَّ ..
ذاك الصبيُّ الذي كان يبصرُ في الحزنِ
امرأةً
من بياضِ الثلوجِ
فيغفو على راحتها ،
ويلقي إلى الحزنِ كلتا ذراعيه ..
يبصرُ في ما يرى النائمةَ الطفلُ غيماً
تحملهُ الريحُ أحزانها ،

وحمائمٍ مذرورةً كالأغاني على الشرفاتِ
فبيكي قريباً من الأرضِ
يا ولداً ضاع مني
وخلّفتني واقفاً في الدخان ° !
أعد لي جراري مملوءةً بالحليب ،
وشمسَ الطفولةِ وهي تشقشقُ فوق القرى
ولا تتضاءلُ
كما يتضاءلُ في القلبِ صوتُ الكمانِ !
ولا تتساءلُ عن التينِ في الدارِ
جفَّ وما عادَ في فيئهٍ لمسةً من حنانٍ ° !
لقد ذهبوا كلهمُ
المحبِّونَ ..
ضحكُ البناتِ ..
التلاميذُ والطالباتُ
وظلَّ أنينُ الصدى عالقاً في الزمانِ .



زمان يائس الأيام

لملم شتاتك
وارتحل في الأرض كالربان
إنّ الأرض أضيق من عذابك
واحتضارك موحش في الريح
يحمله غرابك في فضاء ضائع الحسرات ،
منهمر الغمام !

* * *

وارقص بخنجرك المجرد
في ظلال الوحشة العمياء
كي تتبادل الطعنات مع هذا الظلام !

* * *

ما أوحش الريح التي حملت نحيبك
للمجاهيل البعيدة ،
والعذابات التي التهمت فؤادك
ثم ألقّت ظلّك الشبحي في جوف البحيرة

كالحطام !

* * *

ما أعظم الندم الذي تُبديه نفسك
في تطلّعها الجريح إلى مرابعك البعيدة
عندما تسود أضواء الغروب ،
و أوحش الأصداء
تخرج من هوى مجهولة الأبعاد
لافحة قلوب النادمين !

* * *

قهرتك أسباب المنية
فانحنى فوق النهاية عقلك المتفكر الفاني
وأطفال احتضارك واقفون
بهية المتألمين
يحدقون بأعين جوفاء في لغز السنين .

* * *

لكأن أيلول الحياة يغوص خلف
خريفك المصفر
والصوت الندائي المعدب في فراغ
المغرب القاني
يصب نشيجه في بئر عينيك الطعين .

* * *

ضرب الصدى قلبي

وضجَّ البرقُ في أعضائي الهوجاء..
أضربُ في قفارِ الليلِ كالمترهَّبِ الأعمى
وأنهلُ كالنواعيرِ العتيقةِ من مياهِ اليائسينُ
!

* * *

أنا شاعرُ الآلامِ والمترجِّلُ الحادي
أجوبُ شوارعَ المدنِ القديمةِ
باحثاً عن حزنِ امرأةٍ
تعلِّقُ ثوبها المبتلَّ في الشرفاتِ
كالكفنِ الجريحِ
كي أرثديه وأستريحُ .

* * *

وأنا الضريزُ بعزلتي
والشاخصُ الأبدِيُّ في شمسِ الغروبِ
بأعينِ المتأملينُ .

* * *

لا شيءَ غيرِ الموتِ
يطلُعُ من قميصِ الأرضِ كالشفقِ الحزينِ
!

* * *

لا شيءَ يجهشُ في المدى المشنوقِ

غيرُ (ضفائرِ) محروقةِ الآهاتِ
يرفعها الهديلُ إلى حمائمِ حزنهِ العالي
وترفعها إلى غصّاتها العطشى
كمنجاتُ الحنينُ .

* * *

أبدأً سيصرخُ خاطئُ - أعمى البصيرة -
: يا ظلامَ الليلِ
يا مُتَعَزِّلَ العميانِ
أرخِ سدولك المشؤومَ
فوقَ نفوسِ من هرموا
وصاروا غابرين !

* * *

فالموتُ مجهولُ بُعيدُ الغورِ في الظلمِ
العميقةِ
لا يرى الرائي إليه سوى
زمانِ يائسِ الأيامِ
يسقطُ مثلُ أوراقِ السامةِ من مداراتِ
المغيبِ
على جموعِ اليائسينِ ° .

* * *

فأمامَ شرفتكِ البعيدةِ
تغربُ الشمسُ الأخيرةُ في انفرادِ يائسٍ

ووراءك الأيامُ أشباحٌ تحجرها الجرودُ
على قفارٍ ضائعةٍ .

* * *

وهناك في الأبراج يُسمعُ موحشاً
بوقُ الرياحِ الصلْدُ
يطلقُ في الظلامِ الميتِ أصداءَ الهزائمِ
جارحاً بالحزنِ أفئدةَ المراثي الدامعةِ .

* * *

فاقرغُ طبولَ جنونك البهائمِ
في عدميةِ الصحراءِ
كي تتساقطَ الأمطارُ كالدمعاتِ
من كبدِ الغيومِ الموجعةِ .

* * *

فالموتُ يسقطُ كالظلامِ
على النفوسِ الهاجعاتِ ،
وشمسُ صحراءِ الحياةِ
اليومِ يائسةٌ محطمةٌ على أبوابك الخرساءِ
يحملها الأفولُ على أكفِ الدمعِ داميةً

وتلَعُقُ جِرْحَهَا المِخْضُوبَ ألسنةُ الذئابِ
الجائعةُ .

>

من قطرات عيون العاشق

الشمسُ على سطح صبيحتها الأبيض
مصباحُ دموعٍ !
وشعاعُ النورِ على نافذةِ الشاعرِ وِردِيُّ
سكرانُ !

وعصارةُ ألوانِ الفجرِ
تذوبُ على صدرِ الأرضِ .
كزهرِ الرمانِ .

فتسقسقُ في المجرى المُرَضِعِ
أجراسُ الفصحِ وأعيادُ الينبوعِ .
وأنا المتأملُ فوق مظلِّ الصبحِ
جمالَ العالمِ
إذ تتلاقى بأحاسيسِ العشقِ الفردوسيةِ
أفراحُ أحاسيسِ الكروانِ ..
وتصيرُ عصافيرُ الأرواحِ شفاهاً

تتذوقُ قطرَ العسلِ السائلِ من أقراصِ
الشهدِ
كماءِ المرجانِ

طربُ بالفرحِ الإيقاعيِّ
أناغمُ موسيقيَّ مع الكونِ
وأرقصُ مثلَ عريسٍ
بين نوافيرِ عطورٍ
وزجاجاتِ الخمرِ محلاةً بالمشمشِ
والأزهارِ

أسقاها باردةً من كفِّ الليلِ الخمارِ
يا خمارُ !
هل عندك ما يجعلُ هذا الكونَ جميلاً أبديَّ
الإشراقِ ،
وما يجعلُ من هذي الدنيا
رضعةً روحِ العاشقِ في الإقمارِ ؟

هل عندك ما يشفي الروحَ من الصعداءِ ،
ووجدَ القلبِ من الجمَّارِ ؟

فالأشجارُ عرائسُ مزهرة
وهفيفُ عبيرِ سفرجلها المُسكرِ
فواحٌ بالشهوةِ

والطقسُ على إسكارٍ !

وأنوثةُ أنوارِ الصبْحيةِ
توقظُ شوقَ القلبِ إلى ترجيعِ الأشعارِ !

فاعصرُ خمرَكَ من قطراتِ عيونِ العاشقِ
يا خمَّارُ !

فالأبصارُ سكارى
بجمالِ شروقِ الشمسِ
الطالعِ من رحمِ الفجرِ ندياً كالأعراسِ

يا ليتكَ تملأُ لي قدحي الصيفيِّ بماءِ اللوزِ
الصافيِ
وشرابِ الأعراسِ !
هبتْ نسماثُ الطلعِ على غصني
وارتعشَ الكرزُ المزهراً في صدري
وسرتْ من طيبِ العطرِ إلى نفسي
أنفاسُ الأسنِ ..

فرايتُ العشقَ غزلاً أبيضَ يركضُ في زفةِ
أجراسِ،
وسمعتُ تراقصَ أغنيةَ زرقاءِ على
إيقاعِ الأقداحِ .

يا لجمالِ طلوعِ الصبحِ المتجوسقِ
فوقِ بساتينِ الزنبقِ زقزقةً وصداحِ
يتراءى للناظرِ مثلِ بحيراتِ حليبِ
تسبحُ فيها الأنفسُ والأرواحُ

فالأغصانُ مهودٌ تهتزُّ بأعشاشِ عصافيرِ
الصيفِ الرضعِ
والحجلُ الأبيضُ يغفو كسحابةِ صيفٍ في
التفاحِ !
وعلى كلِّ غصينٍ تغفو التفاحاتُ كزوجِ
جراحِ
فوقِ جمالِ الينبوغِ .
ويعومُ خيالُ الخوخياتِ مع النيلوفرِ راحلةً
نحو مساءِ المجرى
ونعوشِ الأزهارِ .

فاعصرُ خمرَكَ من قطراتِ عيونِ العاشقِ
يا خمَّارُ !

الشمسُ على سطحِ المغربِ
إبريقُ دموعٍ !
ولفيفُ لقالقِ سوداءِ
يحطُّ بصمتٍ فوقِ جلالِ الأشجارِ !

والضوءُ الشاحبُ فوق شبابيكِ العاشق
تعريشاتُ شموغُ !

حَلَّتْ أَوَّلُ سَاعَاتِ الْعِزْلَةِ مَرَهَقَةً
وَانْتَشَرَتْ رَائِحَةُ الْحُزَنِ الْمَيِّتِ فِي أَرْجَاءِ
الْدَارِ .

وَأَنَا كَالْفَرَاعَةِ مَكْسُوًّا بِأَمَاسِي التَّلْجِ الْأَزْرَقِ
أَجْلِسُ فِي لَيْلِ الْبَرْدِ حَزِينًا قَدَامَ النَّارِ
أَجْلِسُ كَالْقَلْبِ الْبَشْرِيِّ الْيَائِسِ
تَحْتَ يَتَامَةِ رُوحِ الْمَطْرِ الْبَاكِي
فَيْسِيلُ الدَّمْعِ الدَافِئِ مِنْ عَيْنِي الْبَارِدَتَيْنِ
كَخَيْطَيْنِ مِنَ الْمَاءِ !
لَا أَسْمَعُ إِلَّا نَايَاتِ اللَّيْلِ الْبَحَاءِ
تَشِيْعُ ذِكْرِي مَاضِيَةً
وَنَفُوسُ الْحُزَنِ تَفِيضُ جِرَاحًا وَمَرَارَاتِ
رَثَاءِ !

وَكذئِبِ مجروحِ الشهوةِ
أَشْتَتَشِقُ رَائِحَةَ الْخَشْبِ الْمَبْتَلِّ
تَفُوْحُ بَعْطَرِ امْرَأَةٍ مَرْضَعَةٍ وَشَفَاهِ صَغَارُ !

أَوْتَعْرِفُ يَا خَمَّارُ لِمَاذَا

أجلسُ كالقدّيسِ حزيناً وسعيداً قدّامَ النارِ ؟

ولماذا نشعلها أوّلَ حزنِ الليلِ
ونسلمُ أهداباً هادئةً للإغفاء ؟

أوتعرفُ يا خمّارُ لماذا نبكي خلفَ الدارِ
يتامى ،
ونجرُّ مراثينا خلفَ نعوشِ الموتى
مستمعبنَ إلى سكراتِ الصمتِ المطلقِ في
الناياتِ؟

أوتعرفُ يا خمّارُ
لماذا نسألُ عن ماضينا البدو الرّحلَ في
الطرقاتِ ؟

ولماذا نحملُ كالعميانِ فوانيسَ الحزنِ
ونمشي ليلاً بين زواريبِ الحاراتِ ،
بحثاً عن شيءٍ مات ؟

هطلَ الغيثُ المولودُ رضيعاً
فامتلاتِ بالدمعِ قواريرُ الأرضِ
ورحنا نسمعُ سكرانينَ شمالَ الريحِ
يشفُ حزيناً في الأشجارِ !

فلماذا لا تشعلُ ناركُ في مجمرِ هذا الليلِ
لنؤنسَ وحشته بعناقيدِ الكرزِ الحمراء
ومراها النوازُ؟

قلبي مرتعشٌ (بردانُ) كالعصفور
وما لي في البردِ رداءُ !

أشعلها كي تتراقصَ شعلتها
كضفائرِ امرأةٍ عذراءٍ !
تتطايرُ فرحى في ریحِ الشوقِ
وكونشيرتو الأنهارِ.

أشعلُ ناركُ من خشبِ الأرزِ
لنستدرجَ ضوءَ القمرِ الذهبيِّ إلى النبعِ
وندعو أزواجَ الغزلانِ إلى سهرةٍ ماءٍ !

لم يبقَ سوايَ وحزنُ الشمسِ الهاديءِ
والمغربُ فانوسِ دموعٍ !
حلَّ الليلُ

فضمّنتي والدتي الأرضُ إلى نهدِها
كالطفلِ وراحت ترضعني الينبوعُ ..
فرايتُ القمرَ الطالعَ ناقوساً
يتلألُ تحت أنوثةٍ ليلٍ بيضاء

ونجماتُ الليلِ السهرانهُ أجراسَ يسوعِ .
ورأيتُ أماسيَ الصيفِ على صفحاتِ
النهرِ شموعُ ،
والليلَ بساتينَ تمورُ
كعبادِ الشمسِ الأشقرِ في جنَّةِ أقمازِ !

فاعصرُ خمرَكَ من قطراتِ عيونِ العاشقِ
يا خمَّازُ !



أفاعي العتمة

اليوم يغيبُ المغربُ في وحشةِ حزنٍ أبديَّة

..

ويسيلُ المطرُ الساخنُ كالدمعِ
على جدرانِ البيتِ !

واليومَ تهبُّ الرِّيحُ المملأى بأنينِ الأرواحِ
المهجورةِ جالبةً سوءَ الطالعِ
للأفئدةِ المنسيَّةِ ..
وتحلُّ سكينَةٌ ما بعدَ المغربِ
في روحِ السكرانِ الميثُ !

فتدقُّ نواقيسُ العزلةِ ناعيةً
روحك في سكراتِ الليلِ إلى مرقدِها،
وتنادي العزلةُ بالصوتِ الأسيانِ
حزاني الناسِ
إلى زناناتِ الحزنِ الشتويِّه !

واليومَ تردُّ أصداءَ صياحك
في الصمتِ الشاسعِ شلالاتُ الليلِ
وتنفخُ في وجهكُ أفواهُ قبورِ الوحشةِ
أنفاسَ القدرِ القبريِّه !
ويجيءُ إليكُ غريبٌ متشخُّ بظلامِ الليلِ
ليجلسَ قدامكُ
ويحدِّقُ تحديقَةً موتٍ في عينيكُ .

فتصيرُ العنمةُ مأوى الأعمى في رؤياك
وتسمعُ بكوة قلبكُ
من أولِ بيتٍ في الليلِ إلى آخرِ
بيتٍ!

يا ليتكُ ما فتحتَ عيونكُ يا ابنَ دموعي ،
يا ميتاً تتمعجُ في عينيه المغمضتينِ
أفاعي العنمةِ
كيف انعكستُ صورةُ هذا الموتِ عليكُ ؟

لا شيءَ سوى اللاشيءِ المملوءِ سكوناً
وسكوتٍ !
لو كنتُ أنا تابوتٌ ..
لاحدودبتُ عليكُ بكلِّ حنايائِ
وغطيتُ بزهرِ الحزنِ الأبيضِ عينيكُ
!

لو كنتُ أنا صوتُ !
لتبعْتُ النايَاتِ
تبعْتُ مراثي الرّيحِ السّوداءِ
أجوبُ دروبَ البشْرِ النّومِ
في نغماتِ ليلِيَّةِ !
ونظرتُ حزيناَ في شبحِيَّةِ عينِ الميْتِ !
* * *

غرقَ المشهُدُ في وحشةِ حزنِ أبديِّه ..
والوحشةُ شاعتْ في الأرضِ
وراحتْ تركعُ قدامَ غروبِ الشّمسِ
بواكي البيتِ .



طاب صباحك

طاب صباحك يا أبتى القديس !
يا من تتمشى بين الأصص المزروعة
بالريحان
وأزهار الخوخ مبللة بدموع الجنة
تغمر روحك بالعفة والتقديس ..

أيّة أفراح ذائبة كالسكر في مطرات الصبح
وأيّة أجراس
تتشعشع تحت سماء الصبحيّة ؟

أشرقتم الشمس
وعامت في الجوّ الديمات
وأزواج حساسين الفجر
تصلي في نشوة تحليق صوفيّة .

طاب صباحك إنّ الجوّ جميل

تتماوجُ فيه الألوانُ المائيَّةُ رائعةً
وزرازيرُ البردِ ِ مزقزقةً
سكرى بالنورِ
وأشجارُ الثلجِ نواقيسُ !

طابَ صباحك يا أبتى القديس .

أينعتِ الأتداءُ على أغصانِ اللوزِ الضمأى
إيناعَ ثمارِ التينِ
وراحَ النسغُ الذائبُ دمعاً
يتحلَّبُ كالعسلِ العذبِ
على الأفواه اللوزيَّة .

فتمشَّى بين مماشى الآسِ
سعيداً كسحابةِ صيفِ ذائبةٍ
في قزحِ سكرانٍ !

وتأملُ بعيونِ خضراءَ جمالَ زهورِ اللوزِ
المخمورةِ
حتَّى نتطلَّعَ من عينيكِ إلى البستانِ !

إنَّ الدنيا تضحكُ عن أجملِ رؤياها ،
والروحُ تغرَّدُ تغريدَ سنونو

يسبحُ بين فضاءاتِ التسبيحِ
على ترنيمَةٍ .. ما أحلى في الحبِّ الطيرانُ..

يا أبتاهُ العالِي
خذني من يديّ البيضاءِ
إلى غدرانِ الماءِ الزرقاءِ
لأغسلَ قلبي الأزرقَ في الجريانِ الرقراقِ
,

وباصرتي في مجرى الصورِ المغسولِ
وأنحلَّ كماءٍ أعمى في الشهواتِ النهريَّةِ !

خذني كي أتسلَّقَ كالبلبلِ سلَّمِ موسيقاكِ
إلى الأغنيةِ الربانيَّةِ !
.. أو أرقصَ ممتلاً بجمالِ الكونِ
فقلبي الشحروورُ يرتلُ ترنيمَةً
: ما أطيبَ أن تشربَ خمراً النشوةِ في عيدِ
القدِّيسِ !

والنفنافةُ على صدري المكشوفِ
(دبابيسُ) مسكرةٌ .. ودبابيسُ .
طابَ صباحك يا أبتِي
... مغموراً بسلامِ اللهِ
أفقتُ على الصبحِ القدسيِّ
فأبصرتُ الأشجارَ تسيرُ على إيقاعِ
الضحكاتِ

وأبصرتُ الغيماتِ المغموسةَ في ماءِ سماءِ
شهباءَ
تهزُّ زنابقها البيضاءَ
على الروحِ العطشى
لكأنَّ الصبحيَّةَ مشوارٌ في دربِ القديسينَ
المرسومِ على صفحاتِ الثلجِ
ترفرفُ فيه الأرواحُ المولودةُ
مثلَ عصافيرَ على أنداءِ النبعِ
الملاى بحليبِ ظمآنٍ .

أيَّةُ معجزةٍ هذا المطرُ الناعمُ يا أبتاهُ ؟
كأنَّ الغبطةَ صارتْ مطراً يترخُّ
فوقَ جراحِ الناسِ فيملؤهمُ دفناً وحناناً !

سالَ حليبُ الصبحِ جداولَ فوقِ العشبِ
وصدُرُ الأرضِ الضاحكُ
يقلمُ ثدييه لأفواهِ العشبِ العنبيَّةِ .

* * *

طابَ صباحكُ يا أبتى ...
أصبحتِ الدنيا بيضاءَ على بيضاءَ
وصارَ يسوعُ اللهُ زهوراً تتهرهُرُ فوقَ
الأرضِ
وتعبقُ أزهارُ الليمونِ برائحةٍ عذريَّةِ !

إنَّ النورَ الوردِيَّ رواقٌ لجمالِ الرؤيا
تتمرأى فيه العينُ
كبركةِ ماءٍ تتلألأُ زرقتها الرقراقَةُ في
طيرانِ العصفورِ

فامشِ على إيقاعِ الجدولِ مشيةً صفصافِ
وسطِ الخضرةِ
واقصدْ صوتَ النهرِ
فصوتُ النهرِ هناكَ رقيقٌ أزرقٌ كالبلورِ !

صوتُ النهرِ هناكَ ثلاثةُ غيتاراتٍ ذائبةٍ في
سقسقةٍ موسيقيَّةٍ

صوتُ النهرِ لهُ سرٌّ في رقرقةِ الضوءِ
على البلورِ !

ولهُ سرٌّ في الزهرةِ وهي تذوبُ على لثغةِ
شحروُرٍ .

صوتُ النهرِ لهُ سرٌّ في الغيتارِ
وسرٌّ في صفراتِ العصفورِ

فاملأ جرة روحك من ينبوع الماء الطاهر
واسق الناس
لتسمع صوت النهر يسقسق في كلِّ الدور !
ما أجملَ يا أبتى في ظلماء القلبِ
إضاءة مصباح النور على رؤيا مترعةٍ
بالنور !

فاغمز روحك في معمورة نهر هادئةٍ
واسبح كالكأس الصافي بين أباريق الخمر
النهرية !

فالكروان المرهق زقزق في نشوته الوردية
والدنيا راقت للعاشق
والنفنف على صدري المكشوفِ
يزوب دبابيساً مسكرةً ودبابيس !

طاب صباحك يا أبتى القديس !



في عتمات الغار

ما قرّرتُ بعذاباتي الدارُ
ولا قرّ القلبُ المملأنُ مراره !
ما قرّرتُ بعذاباتي الدارُ !

فضممتُ جناحيّ على بعضي كالزرزور
البردان
ورحنتُ لأبكي بكوة قديسٍ في أعماق مغاره
!

يا دمةً تلج ذائبةً في دمةٍ غازُ !
ما احتملتُ يأسِي الأرضُ
ولا الريحُ المملأى بأنين الأرواح ،
ولا وسعتني صحراءُ الأرض
ولا الحيدُ المقفرُ في الوعر
وأوتني بين حنايا عتمتها الهادئة البيضاء
سكينةً غازُ .

ماذا حلّ بهذي الدنيا السوداء لياليها
دائرةٌ تطحنُ حنطةً قلبي في الليلِ
وفي الريحِ
رحاها الدواره ؟

يا غارُ...
وأيةُ روحٍ مجلبةٍ للآلامِ العذبةِ
هذي الروحُ
وأيةُ نفسٍ منجبةٍ للوحشةِ نفسي يا غارُ ؟

.. وغرقتُ بروحي في ينبوعِ العينِ المعتمِ
أصغي لسقوطِ الدمعةِ في الصمتِ الصافي
لكأني أكثرُ مخلوقاتِ الدنيا حزناً
والأوحشُ أغواره !

ضمّنتني كالطيرٍ إلى عشِّ كآبتها العتماتُ
وراحت ترضعُ قلبي من ثدييها
وطوتني في باطنها الرحميِّ مغاره .

يا قلبُ هنا لا جارَ لسمعِ صوتِ بكائكِ
فيعيبُ عليكِ الدمعَ ولا جاره !

لا شيءَ سوى صمتِ صافٍ

وعذاباتٍ بيضاءٍ وإيقاعٍ سكونٍ ..

لكن حين تُلقتُ يميناً
ألفيتُ نساءً في أشكالٍ ناسكةٍ يبكين ..
تلقتُ يساراً ألفيتُ رجالاً
في أشكالٍ راهبةٍ ينتحبون !

ورأيتُ نوازلَ دمعٍ تتدلى من سقفِ الكهفِ
وتقطرُ في الطاساتِ
فيشربها القديسون ..

وصواعدَ طالعةً من غصّاتِ صدورِ الموتى
تتوسّلُ حباتِ النورِ المتهاطلةِ القطراتِ
على أعينها
كدموعِ الزيتون !

و رأيتُ القلبَ البشريَّ البائسَ
محترقاً في ميتمهِ الليليِّ كشعلةِ نارٍ زرقاءَ
رأيتُ نقاطاً من ضوءٍ باردةً
تتلاها في العنماتِ
كأنَّ عيوناً تستعطفُ بالصلواتِ عيون !
كانَ هواءُ الكهفِ المملوءِ بأرواحِ نادمةٍ
يتهدهُدُ بالنهداتِ الحرّى ..

يتنهَّدُ قلبُ
فتباكيه قلوبٌ معتمَةٌ بالحزنِ
يصقُرُ صوتٌ مجروحٌ
فيجاوبه صوتٌ محزونٌ !

قلتُ لشيخٍ يقتعدُ الوحشةَ في حلقِ الغارِ
: كيفَ رأيتَ الدنيا يا جدّاه ؟

فتنهَّدَ ثم بكى : آهٍ وأواه !
أحبابٌ جرحوا دمعَةَ عيني
.. تركوني في الأديارِ !

فمددتُ يدي كطفلينِ رضيعينِ إلى جدّي
(الليل)
وقلتُ : وحيدٌ يا جدّي
وحزينٌ يا جدّي
وضعيفٌ وضريزٌ وغريبٌ وجريحٌ
وبلا دارٍ في الأرضِ
فدُقَّ بصدري المسمارُ !

واجرحُ كفيّ لأنزفَ فوق حنانِ التربةِ
مرّ دمي الحارُ !

...

ثَقَّبْ قلبي ليصيرَ جريحاً
ثَقَّبْ جسدي ، ثَقَّبْ صوتي
ليسبحَ عليلاً في صلواتِ الغارِ !
أصحيحُ يا جدّاهُ بأنّ الدمعةَ نبعُ يبكي
والأعينُ مجرى
من هذي الدارِ إلى تلك الدارِ ؟

* * *

يا غارُ رحلنا في العمرِ فرادى
والعمرُ جراحُ !
تتباكي منّا الأعينُ مغمضةً
تتمزّقُ منّا الأرواحُ !

فوجدنا النأيَ أمرّ مراره !

أه على غفوة قلبٍ تحت حفيفِ الأشجارِ ...
أه على صفرة عصفورٍ في باحة دارٍ

يا غارُ (مجاريحُ) في العشقِ مجاريحُ

عمرنا من طمي الأرضِ مياتم سُنَّانَا
وربطناها بحبالِ الريحِ !
من طيبتنا تسرّحُ في الليلِ سواقي الحزنِ
وليس لنا في الحزنِ مصابيحُ !

يا غارُ
ومن غيرُ العاشقِ يصنعُ أقفالاً
من دونِ مفاتيحٍ ؟
حبّاتُ القمحِ رويناها من نهرِ مدامعنا
كالأمطارِ ..
فنمت شتلاتُ الحنطةِ من بكوتنا أعماراً
أعماراً !

ما قرّرتُ بعذاباتي الدارُ
ولا قرّ القلبُ الملائنُ أسىً ومرارةً !

فحملتُ سراجي ورحلتُ وحيداً
لأذوّبَ حزني الأسودَ في عتماتِ الغازِ !
يا من تعبرُ ذلكَ الموضعَ إمّا مرّيتَ
توقّفْ وتطلّعْ في عيني !
سترى دائرةً من نورِ الوحشةِ
خارجةً من أعماقِ مغاره ..
هي قلبي يتمعّجُ بين يدي .

خَرَابَةُ لَيْلٍ

الدربُ منارٌ في الليلِ
وصمتُ الموسيقى شبّاكٌ مفتوحٌ
نحو سماءِ الله ...

والقمرُ الغارقُ في غيمةٍ دمعٍ مرضعةٍ
يتكوّرُ تكويرةَ قلبِ الأمِّ الزاهدِ في تقواه !
يا نائمٌ قم
وتطلّعْ بعيونٍ بيضاءٍ إلى الأعلى
واقرغْ أجراسك في غفواتِ الليلِ
لتوقظَ أرواحَ الناسِ !

وتأمّلْ تلكَ الأرواحَ _ طيورَ الحزنِ
البيضاءَ _
تحلّقُ في الأفقِ الضاحكِ آهاً آه !

أيّةُ معجزةٍ هذي الدنيا ؟..
إبيضّ الليلُ وأقمرَ
ثم أهلاً وأزهرَ
ثم ترقرقَ صافٍ كزغاريدِ الأعراسِ !

فركعنا تحتَ أهلةِ هذا الكونِ كأنّا في قدّاسِ

يا لسكينة هذا الكون المزهر كالأشجار
(عناقيدُ) تتدلَّى قربَ عناقيدِ
وقلوبُ تغفو قربَ قلوبُ !

لكأنَّ ضياءَ الصبحِ النورانيِّ
يشعُّ علينا من كأسِ غروبٍ .

أيِّ جمالٍ هذا يا قلباهُ
أكادُ من البهجةِ أبكي
وبكاءِ القلبِ أحقُّ ..
أكادُ من الغصّةِ أضحكُ
والضحكُ بكاءُ مقلوبُ !
ما أصعبَ أن تشعَرَ أتكَّ في هذي الدنيا
المخلوقةِ للوحشةِ
كالقدّيسِ المصلوبِ !
فتكفكفُ حباتِ دموعك عن عينيكَ
وتقعدُ قربَ خرابيةِ ليلٍ
كي تبكي في الصمتِ بكاءَ المغلوبِ !

وتغني أغنيةَ المجهولِ بهذي الأرضِ
فلا تسمعك الأحجارُ السوداءُ
ولا طمي مرآئها

لكن من يبصرُ حزنَ الطائرِ
أو يسمعُ صيحاتِ أساهِ ؟
أه يا نائمُ أه !
قم واقرعْ أجراسك
ما الليلُ سوى كأسٍ نشربها
كي نحلّم تحتَ بياضِ يسوعِ الله !



دالية الموسيقى

علّقتُ أصابعَ الضوءِ على داليةِ الموسيقى
ونفختُ بمزمارِ العشقِ
غناءً سكراناً ..
فانبثقتُ بيضةً قلبي
من عشِّ الكروانِ !

وأتاني الشاعرُ والعاشقُ والقديسُ
إلى سهريةِ نهرٍ وخريرِ مياهٍ

لكن حينَ سكبتُ حليبَ الليلِ
الرائقَ في قدحي - ما أنقأه
وما أطيبَ سقياه -
وتطلّعتُ بعينِ العشقِ إلى الأعلى
أبصرتُ رسولَ النورِ

يسيحُ حزيناً في ملكوتِ أساه !

ورأيتُ العالمَ مضموماً بين يدي قمرِ
سهران .

من يعرفُ أن القصبَ المجروحَ
(مزاميرٌ) في الريح
وأنَّ مآذنَ منتصفِ الليلِ
تضوُّ روحَ الله ؟

من يعرفُ أن الموسيقى نائمةٌ في بيتِ
الحزن
وشبَّاكِ الموسيقىار على شكلِ كمان ؟

ليصدِّقَ أنِّي أتقدِّسُ في سهرِ الأقمارِ

من يعرفُ أنَّ النجماتِ عيونٌ تتلألأُ
عبرَ دموعِ الليلِ
مصفاةَ الأسرارِ ؟
ليصدِّقَ أنَّ الزهرةَ كأسُ دموعِ ملامى
بعصائرها العذبة ،
والأمسيَّةُ مصباحٌ يتقطرُ منه النورُ !

يا عاشقُ قلِّ حبِّك ،
رخمٌ بالنغماتِ لواعجِ عشقك كالعصفورِ !

فأنا في ساعةِ صمتِ الليلِ الزرقاءِ
أرى المرأةَ ساهرةً في نورِ المصباحِ
كمريمِ نورٍ ...
وأراها روحاً راقدةً في راقتها الروحانيَّةِ
بين سريرةِ نفسٍ راضيةٍ
واستغراقِ سرورٍ

قلِّ حبِّك يا عاشقُ بالأشعارِ
وقلِّ حزنك تسبيحاً ياقدِّيسُ !

حزنك صومعةٌ بيضاءُ
مدورةٌ في قلبِ الحزنِ
وحولك أجراسٌ هامسةٌ تتلامسُ في تقديسِ

وأنوثةُ هذا الليلِ الناعمِ
بلغت نيرفانا الشهوةَ والشوقِ
وراحت ترخي فوق السهرةِ
أعمارَ غدئراها أشباراً .. أشباراً ..

فدعونا نسمعُ في هذي الخلوةِ

صوت العصفور الموسيقار !
عصفورٌ نشوانٌ
يصفرُّ تحت سماءِ الأُنسِ فيسكرنا
ويعلّقنا تحت قبابِ الموسيقى المطايّة
بالفضّة

أسرجةً وفوانيس
عصفورٌ أغمضَ عينيه وراح يزرقُ
لازمةً بيضاءَ على أكتافِ المشمشِ
فسكتنا أنصافَ سكارى
نشواقٌ ونعشاقٌ ..
واستغرقتِ المرأةُ في الموسيقى
حتى صارت صوتاً أزرقُ

فتطلّع لترى الدنيا
بجمالِ أنوثتها تلدُ الصبحَ الضاحك
من شهوةِ زنبقٍ !
* * *

.. مغتبطاً بالغيوبةِ راح الناظرُ في البركةِ
يغسلُ عينه ويغرقُ كالكأسِ الضمان .

فرأى أصدافاً تصدحُ بالموسيقى
في صالةِ بلورٍ زرقاءَ
وتتحلُّ إلى أفواهٍ وشفاه .

* * *

علقت أصابع الضوء على دالية الموسيقى
ووضعت إنائي تحت دموع القمر السهران
!

من يعرف أن إنائي امتلأت
بالقطرات النورانية
حتى فاض الماء الأبيض من عيني
وذوبني في رؤياه؟

ليصدق أنني أحلب نور القمر المرضع
في فمي العطشان!

من يعرف أن الصوت العاشق
أوتار تترنم عبر نوافير الماء
وأن الموسيقى صمت يسوع الله؟

ليصدق أنني أتلاعب بالطير
فأنقل بيضات الحسون إلى عش الشحور

،
وبيض أبو الحناء إلى عش الكروان!

وأزوج أنثى البلبل من ذكر الحسون،

وزوج كناري .. من زوج هزاز ..
لأخلق للتغريد عنادل خضراء
وللايقاع بلابل فوق الماء ...
أصيّر منقار الهدد نايماً لأغاني قطف اللوز
ومنقار العصفورة مزماراً لخريير النهر
ومنقار الشحرورة غيتار !

وأعلق كورال الأطيوار على دالية الموسيقى
لتزقزق لازمة المعزوفة خلف العصفور
الصفار .

يا صوتاً يصدح في أزلية هذا الكون
رحاب الليل الربانيّة
ملأى بالأرواح
وقلبي مملوء بقلوب ..

والأرواح من اللطف بحيث ترفرف رائعة
حول جمال المصلوب !

فاملاً صدرك بالعشق
ودور بنواعير الحزن دموع العالم
تحت سماء مترعة بالفرح المحبوب !

نطقتُ نفسُ العاشقِ بالعشوقِ
وروحُ الشاعرِ بالشعرِ
وسالت في نغماتٍ صافيةٍ
نفسُ الموسيقارِ .

من يعرفُ أنّ الأطيّارَ كلامُ الأشجارِ
المنظومِ على السّنةِ الأغصانُ ؟

ليصدّقَ أنّي أتقدّسُ كالعاشقِ
في القمرِ السهرانِ !

من يعرفُ أنّ سماءَ الأوّلِ من أيلولَ
عرائشُ مثقلَةٌ بعناقيدِ الليلِ ،
وأنّ الغيماتِ تنقُطُ عسلاً عذباً
وتلطّفُ بالنفنافيةِ قلوباً وقلوبُ ؟

ليصدّقَ أنّ فؤادَ العاشقِ
مربوطٌ بالأوتارِ إلى أغنيةِ المحبوبِ .



لا حد لهذا اليأس

لا حدَّ لهذا اليأس
وليس لهذي الوحشة حدُّ !

ناديتُ كرامَ الناسِ :
حزينٌ يا ناسُ
فما عزّاني في حزني أحدُ !

ما اسطعتُ سوى أن أبكي استشهادي في
الليلِ المصلوبِ
على أكتافِ المصلوبينَ
صرختُ على البشرِ الفانينَ
: أصيخوا !!!!!!!
هل نحنُ جميعاً ناياتُ
ينفخُ فيها الموتُ فنغفو سكرانينُ ؟
... ألقىتُ الناسَ نياماً ،

والأيام سحاباً يعدو
فظللتُ على نفسي أرتعدُ

لا حدَّ لهذا اليأسِ
وليس لهذي الوحشة حدُّ
* * *

رحلت كلَّ توأبيتِ العمرِ فرادى
بصحابي الأطياب ..
وأعمامي العشاق..
وأجملِ أخوالي
رحلت بالأجملِ والغالي ...
بجدودي القديسينَ ، بأحبابي
لكن لم يبرحْ قلبي حتى اللحظة جدُّ
فلماذا ابتعدوا ؟
ذابوا في دموعِ عينيِّ
وظلَّ يسيلهم مثل دموعي الخدُّ !

قلبي يدمعُ كالنهدِ على شفةِ المولودِ
ومولودي قمرٌ يطلعُ فوق الشامِ .
لا طفلَ ليركضَ في البيتِ
فيمتلأ البيتُ حماماً !
وغلامٌ في العمرِ أنا ما زلتُ غلامٌ !
من يدفىءُ روعي يا أصحابُ ؟!

دفنتم كلَّ يتاماي وأولادي
في قبرِ الليلِ وذبتُم في الأحلامِ !
لكن حين وردتُ القبرَ وحيداً
ما ناداني من ظلمتهِ ولدُ !

* * *

لا حدَّ لهذا اليأسِ
وليس لهذي الوحشة حدُّ
* * *

وقفلتُ وحيداً أتطلُّعُ في الأكواخ المهجورةِ
والليلِ وخشخشةِ الأعشاشِ
رحلَ العمرُ وحلَّ شتاءُ الهجرةِ والترحالِ
كأنَّ الراحلَ لا غنى في العشق ولا عاشُ !
فبسطتُ ذراعيَّ كمصلوبٍ في الريحِ
وقلتُ انتهتِ الرحلةُ يا همَّاشُ !
وسقطتُ على ريحانةِ حزني أرتعدُ

فدعوني أتناغمُ بالصمتِ مع الدمعاتِ
وأصرخُ يا ريحُ !
لا تذرِ الرملَ على الصحراءِ
فإنَّ في العشقِ مجاريحُ !
وسماءُ كهولتنا حدُّ
فسمعنا في الليلِ نداءَ الموتِ بعيداً يبتعدُ ...
* * *

لا حدَّ لهذا اليأسِ
وليس لهذي الوحشة حدُّ

* * *

تحتَ الشجرِ اليابسِ يعبرُ موتُ أسودُ
تعبُرُ أيامي بشرائطِ سوداءِ
وتوغلُ في الغاباتِ .
ويمرُّ رعاةُ الريحِ حداةً إثرَ حداةٍ
وتمرُّ امرأةٌ آخرَ أيامِ الصيفِ مطأئنةً
الرأسِ
إلى أملٍ ماتٍ !
وتمرُّ على فرسٍ مسروقٍ ريحُ الأيامِ وتعدو

امرأةٌ لا تدفنها النارُ
ولا يلسعها البردُ .

* * *

وأنا الجائئُ كأبي الهولِ
على بابِ كهولتها
والمتكرِّرُ كالموجِ على صخرتها الصمَّاءِ
صرختُ بكلِّ جهاتِ الأرضِ .
ولكن

لم

يسمعني

أحدُ .

* * *

لا حدَّ لهذا اليأس
وليس لهذي الوحشة حدُّ

* * *

...

قرّبتُ القنديلَ من الأيقونةِ
لكني ما شاهدتُ سوى موتاً
يتدلَّى ،
وعماءَ مبجوحِ الصوتِ يغنّي
وغنائي أعلى .
ورأيتُ لمريمَ ترفعُ تاجَ الحزنِ
على الوقتِ
وتتجبُّ في ملكوتِ الظلمةِ
طفلاً أحلى
ورأيتُ الناسَ تعيشُ بأحلامِ الناسِ
ويسبحُ في العتمةِ صوتُ
ربابٍ
منفردٌ .

* * *

لا حدَّ لهذا اليأس
وليس لهذي الوحشة حدُّ .

* * *

نفسى تبكى راضيةً في الليلِ
وروحى تشهقُ قرب أخيها القلبِ
ويرمى شهوتهُ للأرضِ بكاءً بددُ .



لسعة ثعبان

كل مساءً .. كل مساءً
حين تدقُّ الأجراسُ (كئيباتٍ)
في أديار الرهبانِ ..
وتمرُّ جنازاتُ الليلِ بجثَّةِ يومٍ مات .

كل مساءً
حين تجوبُ تماثيلُ العزلةِ
أرجاءَ الحاراتِ
.. حين يضمُّ الليلُ خيوطَ الحزنِ
على قلبي المكروبِ
فتغلقُ عقلي العتمةُ

وتمرُّ قصائدُ أشعارِ الناسِ الليلينِ
حزيناتِ الأبياتِ !

أفتحُ شبّاكي
وأطلُّ على مئذنةِ الجامعِ كالبُكَيّانِ !

.. كي أتوسّلَ رِقّةَ روحِ تبكي
أو تنهيدةَ صدرِ طالعةٍ من أعماقِ القلبِ
اليائسِ
أو دمعةَ عينِ ذائبةٍ في صوتِ أسيانٍ !!

أفتحُ شبّاكي وأنا أسمعُ صوتَ سنونوّةٍ ليلٍ
خائفةٍ من لسعةِ ثعبانٍ !

أتوسّلُ فانوسَ الحزنِ
الدامعِ في قلبِ البدويِّ ،
وقنديلاً أحبّائي الأيتامَ ، وأبناءَ عمومتي
العميانِ .

أفتحُ شبّاكي لهبوبِ الريحِ المجروحِ
فتدخلُ غازلةُ الوحشةِ في الأشجارِ
لتغزلَ من حسراتي خيطانَ تعاستها
الخرساءِ
ومن أهاتي قمصانَ دخانٍ لغيومِ ندامتها
السوداءِ
لتغزلَ غصّاتي حائكةُ الموسيقى

في قدّاسِ حنانٍ !
فتغصّ عيوني بالدمعِ
غصيصَ السكّنةِ في حلقِ الصوتِ ° !
أفتحُ شباكي
كي أتوسّلَ رؤيةً تابوتِ
يعلو نحو سماءِ الخالقِ في صمتِ وسكوتِ

أتوسّلُ ميتاً يتعدّبُ في تابوتِ !

.. أتطلّعُ في تحديقتهِ الصمّاءِ
وأبكي خوفاً
إذ يتطلّعُ نحوي من فتحةِ عينِ الموتِ !
.. أفتحُ شباكي
كي أنتسّمَ رائحةَ الديمةِ وهي تذوبُ
حليياً حلواً فوق شفاهِ التوتِ

وأقولُ لقلبي اليائسِ
يا قلبُ اليومَ تموتُ !

...
أتوسّلُ راحةً أمّ تخرُجُ من أعماقِ اليتيمِ
فتمسحُ وجهي
كيلا تتمعجَ في جسدي وجراحي الديدانِ

أتوسلُ أطيافاً تتراءى في غبشِ الليلِ
وأدعوها لترفرِفَ في رُوحِي
حتى لا أَرْضَعَ كالشبحِ الأثمِ ثديَ الشيطانِ .

... ..
أفتحُ شبّاكي
كي أسمعَ رنةَ صوتِ الحسونِ بحقلِ خريفِ
عاريّ،
ودفيئةَ صوتِ غرابٍ .

فأنا خوَّافٌ كيمامةٍ نخلِ
من ثعلبيةِ الذئبِ ووكرِ الفأرِ الكذابِ ..

وأنا خوَّافٌ في الصيفِ من الريحِ
وصبارِ الصحراءِ
وخوَّافٌ من عبراتِ شتاءاتِ الليلِ
وخوَّافٌ من خوفي الواقفِ كالجذعِ
الأبكمِ قدامِ البابِ .

... ..
أفتحُ شبّاكي
كي أستعطفَ قلبَ الإبنِ
ورُوحَ الأبِ !
وأرى كم أَرْضُ الناسِ بلا مأوى ،

مفقرةٌ عزلاءُ
فأهمسُ : بيتاً يا ربُّ
لنحمي أيتامَ كهولتنا فيه !

.. بيتاً كي نغفو فيه
ونحلمُ فيه ونبكي فيه !
.. بيتاً من خشبِ الحورِ حنوناً كالكوخِ
نربّي فيه الوحشةَ والليلَ وصحراءَ التيه !

بيتاً نتطلعُ من طلاقته العمياءِ
إلى قمرٍ يتلامعُ كالثدي الأبيض فوق شفاهِ
الجوعى
وندقّىءُ أولادَ طفولتنا في دفءِ لياليه !

بيتاً يا أبتى !
كي نزرعَ ريحانَ دموعٍ ، وقرنفلَ بينِ
مماشيه !

أكثرُ يا ربُّ
(البيتُ) لهذا التيه ؟ .

>

بكوّة مغلوبٍ في الليلِ

أه يا جدّي الختیارُ !
إنّي جدُّ حزينٍ يا جدّي
جدّ جریخُ !
أيّة ریحٍ تتوجّع في الأعشاشِ المجروحةِ ،
أيّ (عسافيرِ) جوعى تنقرُ صوتَ الریحِ ؟
أيّ خریفٍ أسودَ يرتحلُ الآنَ بعيداً
كالمزمارِ !؟

من كأسِ الصبحِ إلى إبريقِ المغربِ
تشربُ دمعاتي عتماتُ الحزنِ
ولكنّ الحزنَ .. مآذنُ .. عاليةً ...
الحزنُ .. كاتدرائياتُ .. شاهقةً ...
وذئابُ تحفرُ أنفاقَ أمومتها في رحمِ
الطينِ !

إنِّي جُدُّ جَرِيحٍ يَا جَدِّي
جُدُّ حَزِينٍ !

جَرِحُ الْعَاشِقِ يَمْتَدُّ مِنَ الْقَلْبِ إِلَى الْقَلْبِ
وَجَرِحِي حَنْجَرَةُ الْعَصْفُورِ عَلَى شَفْرَةٍ
سَكِينٍ !
لَا شَتَوَاتُ الْغَيْمَةَ تَغْرِقُنِي بِالدمعِ
وَلَا رَبَّتْ رُوحِي الْأَعشَاشُ عَلَى الْأَشْجَارِ !
أَهْ يَا جَدِّي الْخَتِيَاؤُ !

* * *

يَا غَيْمَ الْمَطَرِ الْعَابِرِ
خَلِّ غَرِيْبِكَ مَهْجُورًا مَهْجُورًا ،
مَتَّخِذًا مِنْ بئرِ الْوَحْشَةِ دَارَهُ !
خَلِّ غَرِيْبِكَ ... فَالْمَوْتُ الْأَسْوَدُ
يَعْوِي فِي الْأَبْعَادِ عَلَى تَفَاحَةِ نُوْرٍ !

يَا بَكْوَةَ مَغْلُوبٍ فِي اللَّيْلِ
وَحْزَنُ اللَّيْلِ أَشَدُّ أَسَى ..
يَا هَزَاتِ حَبَالِ الصَّوْتِ عَلَى بَحَّةِ مَوَالٍ
مَكْسُورٍ !
سَبْعَةُ غَيْتَارَاتٍ ثَقَبَتْ صَدْرِي بِالدمِ

ثلاثُ دموعٍ حفرتِ صوتي الضائعَ في
الأحجارِ
وعمري المهزومُ
يدحرجُ في هاويةِ أحجاره ..
وثلاثةُ فئرانٍ تلعقُ في الليلِ تعاسةَ قلبي
المرِّ
وتقتاتُ أساهُ !
طولَ الليلِ ولا يغمضُ لي جفنُ يا جدّاهُ !

لا رقتُ لدموعي شجراتُ المشمشِ عند
الفجرِ
ولا رفأتِ روعي بخريفِ الأشجانِ حمامةً
ريخُ !
إني جدُّ حزينٍ يا جدّي
جدّ جريحُ .



جريان النهر الموسيقار

في شجريّة ليلٍ ملى بحفيفِ الأعشاشِ
وهدهدة الأشجارُ

بفؤادٍ صافٍ و غنائياتٍ مترعةٍ بالحننِ
وأمسيّةٍ أحلامٍ بيضاءٍ ..
سرخ الشاعرُ في معمورةٍ نهرٍ هادئةٍ
واسترسلَ في هدأةٍ أسرارٍ

كانَ هلالُ النورِ أشفَّ من الرؤيا
في ليليّةٍ سكرٍ زهراءِ
وكانَ مسيلُ الماءِ
أرقَّ خريراً من نقراتِ الأمطارِ !

غنى الموسيقارُ :
ترقرقُ يانهراً ترقرقُ بالنعيماتِ وسقسقةِ
الموسيقى

ما أسعدَ مجرى النهر ورقرة الماء !

كوزُ الشربِ الأزرقُ بين يديّ
له شكْلُ سنونو
والكأسُ مدوّرةٌ كالعينِ الزرقاءِ !

والأمسيّةُ صافيةٌ
كحليبِ بحيراتِ الصيفِ الهادئةِ الخضراءِ
!

... وتطلّعَ في دمعةِ عينِ الشاعرِ
: يا هذا السارحَ في غيوبتكِ الورديةِ
طيّرَ سربَ حروفكِ لترفرِفَ في شعريّةِ
هذا الحقلِ
شحاريرَ على الأشجارِ !

قالَ الشاعرُ : يا صاحبي الموسيقارِ
تعالَ لنسرحَ في سهريةِ أوتارِ ،
وندوزنَ صمتَ الليلِ على صوتِ الغيتارِ !

ونرافقَ بالموسيقى جريانَ النهرِ
المغرورقِ مثلَ مآقي الناسِ
إلى صومعةِ الغيمِ المطليةِ بالأبيضِ

عندَ نهاياتِ الأعمارِ !

فالموسيقى قربَ الماءِ الجاري
تجعلُ صوتكَ أطيّبَ من صوتِ العصفورِ

،
وقلبكَ غيمةَ دمعٍ تمطرُ فوقَ الدورِ ،
ومن بركةِ روحكَ مائيّةٍ إقمارُ .
فبكى الموسيقىّ الغارقُ في تغريبةِ حزنِ
غارقةٍ في غيبوبةِ

عزفِ حيرانِ !
... أغنيةٌ عن أملٍ ميتٍ راحت تتماوتُ في
الأوتارِ !

صحتُ بأيةِ موسيقى أنتَ تغني الآن ؟
فانوسُ المغربِ ينعسُ قربَ عيونكَ
والدمعةُ تكرجُ باكيةً من نبعِ أساكِ الظمآنِ !

يا من يتقدّسُ حزنكَ في سكراتِ الليلِ
لماذا تتركني أبصرُ صورةَ نفسي
في دمعةِ سكرانٍ !؟

كن مؤنسَ قلبي المكسورِ
ولا تكُ موحشَ روعي الربانيّه !

وتعالِ نرتّبُ كورالَ الأطيّارِ

على شجر الإنشاد
وندعو عائلة الحجل الأبيض
والأمّات - حمامات النخل -
إلى أمسيّة صيفٍ نهريّه !

صدحةٌ حسونٍ حسنٍ الصوتِ
ترافقُ صفرةً شحروور الماء
وصيحاتُ طيورٍ بريّة .

إنّ سماءَ السهرةٍ مترعةٌ بالفرح الورديّ
وقلبي المتألّم يرفعُ كفيّه إلى الأعلى
لتلقّي حفنة نورٍ وردية .
فاصنعُ نايكٍ من قصبِ الريحِ المبجوحِ
وغيتاركُ من خشبِ الحورِ
- حنونُ خشبُ الحورِ -
وأعذب منه حفيفُ الصفصافِ !

وتعالَ لنسمعَ صوت الأصدافِ السكرى
تصدحُ بالموسيقى في الصمتِ الشفافِ !
حنجرةُ الماء تترقُّ أنغاماً بيضاء
ترقُّ لها الروحُ
وحنجرةُ النهرِ تموسقُ إيقاع الأريافِ .

إذ ذاك انساحَ الموسيقى قارُ حزينَ الصوتِ
وغنّى أغنيةَ الليلِ على طولِ التيارِ ...
بالموسيقى تتلامسُ روحانا كالأجراسِ
ونلتمسُ النسوةَ من صوتِ الأزهارِ

فتعال ... تعال ..

ندوزنُ سقسقةَ الماءِ على صوتِ الغيتارِ !
ونسرّحُ في النهرِ زوارقنا الورقيّةَ
تحت تألؤِ نجوماتِ الليلِ الضمّاي
ونغيّبُ عن الأنظارِ .

نقاط حليب القديسات

الليلُ المقمرُ في الشبّاكِ كناريُّ أخضرُ
والمغربُ طاووسٌ ينعسُ فوق السورِ ..
والبحرُ يهددُ بالأشجانِ سكارى الليلِ
ويغرقُ في مسحةِ حزنٍ شفافٍ !
تعبَ النورُ فلملمَ أطرافَ الأرضِ

وطارَ بعيداً في الأريافِ
والسحبُ الورديةُ تسبحُ مثل قصاصاتِ
طيورٍ
وتصاويرَ على البلورِ .
يا امرأةً مرخاةَ الشعرِ على غيتارٍ مكسورٍ
!

طلعت دنيا مشمسةً من بحر الليلِ
وراح يرخرخُ فوق قواريرِ الخمرِ المطرُ
المخمورُ !

فسمعنا هفهةَ الأجنحةِ الزرقاءِ
ترفرفُ في المطراتِ رفيفَ الأطيافِ
ورأينا القمرَ العاشقَ

مشتعلاً فوق البحرِ كشعلةٍ نازٍ !
مطرٌ أخضرُ

مطرٌ سكرٌ

مطرٌ ثملٌ صافٍ ، نfnافٍ

مطرٌ صيفيٌّ يتضاحكُ في مرحٍ وسرورٍ

مطرٌ يهطلُ في رقرقةٍ رقيقةٍ

ويرنقُ صمتَ الريحِ على الصفصافِ

مطرٌ ثلجيٌّ يتناثرُ كالسهمِ فوق سطوحِ
الدورِ

فدعيني أغمضُ أجفاني

وأسوح بعيداً بين فراديس الأريافِ

يا امرأةً تتراءى في ماء الليل محلاةً بجمال
النور !
في أيّ (بساتين) تتغازل هذي الموسيقى
الناعمة النغمات ؟
من أيّ مناديل يرش علينا الثلج أساوره
البيضاء
فتهطل هاءات هاءات ؟
وبأيّ أغاني زرقاء يزقزق في سهرتنا
العصفور ؟
هرّت زهرات العسل العذبة
فأحّة بروائحها الريحانية بين جوانح هذا
الليل
فصارت سهرتنا كالبيارة تعبق بالشهوات !
والخمر مطعمةً بقرنفلها العابق
شفّت في لون الرمان
وسالت رائقةً في الأقداح
وعلى إبريق الشرب تذوبُ سنوحُ التفاح !
فأذبي بالصوت الأندلسي السابح بالغصات
حرار الروح
لأسكر بين ذراعيّ الغيتارة
مثل إوزة نهر في صبوة إصباح !
فالماء الجاري والأرض الريا
وحفيف الحور المحزن
يجعلني أطفو نشواناً فوق الأرض

كأني طيرٌ وجناحي نسيماً وهفيفُ رياحٍ
بلغت نشوتها الروحُ
وطارت هائمةً كالغيمةِ في الوادي
والأرضُ تفيضُ نبيذاً ودماً وعصائرَ
خضراءَ
وتغرقُ في مطرٍ رخراخٍ مخمورُ !
فلماذا تجلسُ امرأةٌ كالحزنِ الصامتِ
مرخاةَ الشعرِ على غيتارٍ مكسورٍ ؟..
في أمسيةٍ صافيةِ الألوانِ
يقطرُ منها النورُ ..
ولماذا يتجاوبُ مرّاً رجُعُ الريحِ
وتخفقُ في الصدرِ الحائرِ أعشاشُ جراحٍ ؟
والقمرُ الطالعُ من مشرقهِ الوردِيّ
يلوحُ كقلبِ اللهِ الأبيضِ في البلورِ !
يا برَدَ الغيمِ الهائلِ كالسكرٍ فوق الشاعرِ
زخاتٍ زخاتٍ !
أغرقُ جسدي الغارقَ بالأنغامِ وصيحاتِ
مواويلِ العشقِ
لأغفو كالغيمةِ
والمطرُ النورانيُّ يرفرفُ حولي أطيّاراً
ونوافيرُ !
أغرقني تحت فضاءِ البحرِ المقمرِ
في حمّامِ حبورٍ وسرورٍ وحريرٍ !
لأشرِّعَ جنحي كطاووسِ الشهوةِ

فوق أنوثة هذي لدنيا ،
وأصيح بصوتٍ مدهولٍ يا مطراتُ !
هزّي أغصانَ الأس
لتسقطُ فوق يتامةٍ صدري المثلوج
نقاطُ حليبِ القديساتِ !
واسقي برحيقِ الجنةِ قلبي الضمانَ
عشيّةٍ سبتِ النورِ !
فالليلُ المقمرُ في الشباكِ جمالٌ أبيضُ
والبحرُ حمامٌ ضمَّ جناحيه
ونامٌ وحيداً قربَ دموعِ القديسينِ
والمرأةُ مرخاةُ الشعرِ تغني أغنيةً سوداءَ
على غيتارٍ مكسورٍ :
يبقى العشقُ جريحاً في القلبِ
ويرحلُ حزنُ العاشقِ في النهرِ نواعيرُ !
وتظلُّ المرأةُ كالدمعةِ في أحداقِ حزينٍ !
يا ذاتَ الزهرِ الرائعِ في العينينِ !
من نومٍ قمحٍ غدائركِ المسقيةِ من ماءِ الليلِ
وغمّسَ في عينيكِ الدامعتينِ يراعينُ ؟
ليخطَّ سطورَ الدمعِ على الأوراقِ !
من رشٍّ على صدركِ ماءِ الوردِ
فسالتِ رغوتهُ الثلجيةُ عاطرةً بين قطاتي
دراقٍ ؟

يا عينيكِ المسكرتينِ كأولِ زهرِ اللوزِ
بصبحيةِ بستانٍ !

يا عينيكِ ...

الحمرةُ والمشمشُ والشجرُ الكحليّ
وشهوةُ شمسٍ في الإشراقِ !
أوتدرينَ لماذا يتعدَّبُ صوتُ البلبِلِ
وهو يذوبُ على غصنِ المطرِ الباردِ
كالظمانِ ؟

ولماذا يصفُرُ عصفورُ النايِ الأصفرُ
مبحوحِ الصوتِ على عصفورِ كمانٍ ؟
يا صوتكِ وسطِ سماءِ الحزنِ
يحيلُ الصمتَ إلى نقراتِ طيورٍ ،
وخريرِ رقرقٍ !

يا صوتكِ ...

تغريدُ الوترِ الأصغرِ في معزوفةِ سكرانٍ !
أسمعهُ يتحلَّبُ كالنفنفاةٍ جريحاً
من أثناءِ النورِ
ويسيلُ مسيلَ الصمتِ على غيتارِ الحزنِ
المكسورِ !

يا امرأةً غارقةً في بركةِ صمتِ

شفَّ حليبُ الليلِ

وعامتُ في عينيّ المتعبتينِ من الوجدِ
عناقيدُ دموعٍ وأباريقُ خمورٍ !

أفلا تستمعينَ إلى صوتِ المطرِ النازلِ
من قمرِ الدمعِ على الشجرِ السهرانِ ؟
مطرٌ يتقطرُ مثلَ كراتِ الثلجِ على السهرةِ
ثم يسيلُ بكاءً فوقِ نوافذنا البلورِ !
مطرٌ يحفرُ عشَّ الدمعةِ في تجويفِ صخورِ
!

مطرٌ أسكرهُ التغريدُ فأغمضَ عينيه
وسالَ على الأفواهِ
مسيلَ العسلِ المعصورِ !
مطرٌ طابَ له الشدو
فهامَ كرائحةِ المشمشِ في أرجاءِ الدارِ
وراحَ يولفُ فوقَ السطحِ سطوراً وسطوراً !
فلماذا ترخينَ غدائركِ السوداءَ على الغيتارِ
وتلتجئينَ كظلِّ أعمى للجدرانِ
فالسهرةُ كانت صافيةً
تصدحُ فيها الموسيقى
وتزقزقُ أزواجُ الكروانِ !

لكن المرأةَ نامت تاركةً
إيقاعَ القلبِ يدورُ على ماءِ ضحلٍ كالناعورِ
,

والقمرَ العاشقَ يغفو
كمسيحٍ أبيضٍ في البلورِ .

>

ماطر درب الرحيل

في دربِ رحيلِ العاشقِ
ما أكثرَ حزنَ الرمانِ !

ما أغزرَ دمعَ المغربِ في ماءِ الغدرانِ !
يا فتياتِ الطيبةِ
لوحنَ برفقٍ لرحيلِ الغيمِ
وهجرةَ أسرابِ الكروانِ !

فالريخُ ترخّمُ في الأشجارِ
حفيفَ الأرواحِ الرُّحَلِ روحاً روحاً ..
وعلى مرتجعِ الصوتِ الدامعِ
ينسابُ غناءُ الغيتاراتِ جروحُ !
لكأنَّ نواعيرَ الهجرانِ
تدورُ على مجرىِ الدمعِ
ورجعُ غنائياتٍ يتجاوبُ مرّاً

ويموت !
وكأنَّ خريفَ استمطارِ الحزنِ
يعرِّي آخرَ أشجارِ الصيفِ
لتصبحَ أبوابَ شتاءاتٍ ، وشبابيكَ بيوتٍ !
من أولِ آهاتِ التينِ إلى آخرِ تنهيدةٍ
صفصافٍ في البستانِ ..
تتساقطُ أزهارُ الدمعِ من الأجفانِ الجرحى
وتشيعُ جراحُ الأصفرِ في ماءِ الألوانِ
بهدوءٍ وسكونٍ وسكوتٍ !

يا فتياتِ المغربِ
غنينَ المرتباتِ على إيقاعِ القمحِ الحافي ،
وتمايلنَ معَ الريحِ شمالَ جنوبَ ، جنوبَ
شمالَ !
ودعنَ على جسرِ الوحشةِ
عشاقاً بلغوا الخمسينَ
وصاروا فزاعاتِ أفولٍ
في حقلِ ظلالٍ !

رحلتُ أعوامَ العمرِ خريفاً بعدَ خريفِ
وأغانينا الأسيانهُ
ترحلُ موالاً .. موالٍ !

لم نطلع طلعةً شمسٍ في العشق
ولا اغرورقنا بالدمعِ كشمسِ زوالٍ !

لم نربحْ من خسرانِ العمرِ سوى الأطلالِ
!

وزرنا الآسَ على الطرقاتِ
فما عبقَ الآسُ
ولا فوّحَ ريحانُ

في دربِ رحيلِ العاشقِ
لا يتساقطُ غيرُ الرمانِ !

>

المحتوى

5.....	قبل الليل وبعد الليل
13.....	كالدمعة في ماء الكأس
22.....	طفولة الرمان
28.....	كالعصفور على بركة ماء
36.....	بيّاح مواويل
41.....	شئوية دار
47.....	بين الماء وزهر الطين
52.....	العشاق الشعراء
57.....	الشحاذ
63.....	كونشيرتو الأنهار
71.....	سرير العروس
77.....	الناس القديسون
80.....	لابسة الأبيض فوق سطوح العليات
88.....	يا حادي !
91.....	أنزل فأنوسك في البئر لتبصرني
99.....	بيت المسافر
102.....	رقصة الكروان
111.....	صوت البئر
114.....	رائحة المشمش في الدنيا البيضاء
123.....	ما زال النهر يتبعني
129.....	قمر التفاح
132.....	سهرية ينبوع
137.....	قلب العاشق مثقوب كالمزمار
146.....	شخص ميت
149.....	سأحمل ريحي على كتفي
152.....	مزراب المطر
158.....	نهريّة ليل رقرق
163.....	كم مرّ مني على هذه الأرض
167.....	زمان يائس الأيام
173.....	من قطرات عيون العاشق
181.....	أفاعي العتمة

184.....	طاب صباحك
190.....	في عتيمات الغار
195.....	حزابة ليل
199.....	دالية الموسيقى
206.....	لا حد لهذا الياس
212.....	لسعة ثعبان
218.....	بكوّة مغلوب في الليل
221.....	جريان النهر الموسيقار
225.....	نقاط حليب القديسات
233.....	ماطر درب الرحيل